4 me Année, No. 175

Lundi - 9 - 11 - 1936

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع البدولى رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات

٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٧٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ شعبان سنة ١٣٥٥ — ٩ نوفمبر سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــدد

صفحة			
١٨٢١	الحلقـــة	:	أحمد حسن الزيات ... ...
١٨٢٣	القلب المكين	:	الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
١٨٢٥	الأدب والخلود	:	الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى
١٨٣٠	نظرية النبوة عند الفارابى	:	الدكتور ابراهيم بيومى مدكور
١٨٣٣	الحرب الأهلية الأسبانية	:	باحث دبلوماسى كبير ... ...
١٨٣٦	من النيل... إلى الرافدين	:	الأستاذ عبد المنعم محمد خلاف
١٨٣٨	أثر الفنون فى الأدبين العربى والانجليزى	:	الأستاذ نظمى أبو السعود ...
١٨٤١	صـــديق	:	الأستاذ على الطنطاوى ... ...
١٨٤٣	هكذا قال زرادشت ...	:	تأليف نيتشه وترجمة الأستاذ فارس
١٨٤٥	تاريخ العرب الأدبى ...	:	الأستاذ رينولد نيكلسون ...
١٨٤٨	الفصل فى نبوة المعنى ...	:	الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
١٨٥٠	عقوق ... (قصيدة)	:	الأستاذ محمود محمد شاكر ...
١٨٥٠	الشاعر وسريره «	:	على أحمد باكثير ... ...
١٨٥١	على النيـــل «	:	الدوضى الوكيل ... ...
١٨٥٢	قصة مجرم (قصة)	:	الآنسة نعيمة المغربى ... ...
١٨٥٤	كتاب عن تاريخ الحبشة وبلاد العرب		
١٨٥٥	الكاتب الألمانى رودلف شتراتس		
١٨٥٥	لجنة تفسير معانى القرآن الكريم . استكشاف جبال هملايا ...		
١٨٥٦	وثيقة مصرية قديمة . جواهر الطيب المفردة ليوحنا بن ماسويه		
١٨٥٦	الحركة العسكرية النصرية فى ألمانيا		
١٨٥٧	موسى بن ميمون (كتاب) :		الدكتور ابراهيم بيومى مدكور
١٨٥٩	أدب السيناريو . فى الفرقة القومية :		ناقد الرسالة الفنى ...

من ذكريات بغداد

الحلقـــة ...

ذلك اسم كان[1] يطلقه الزعيم (ياسين) على ستة من الإخوان جمعهم تشابه الذوق ، وألّف بينهم تجانس الهوى ، فتساهموا الصفاء ، وتقاسموا المودة ، وخلطوا حياتهم بحياة بعض ، فما كانوا يفترقون أصائل الأيام ولا عشايا الليالى . كانوا يتخذون سامرهم كل ليلة فى دار أحدهم ، فيتحلقون على مائدة الشاى الساخنة ، أو يتقابلون أمام المدفأة الواهجة ، ثم يديرون بينهم سِقاط الحديث على أروع ما تُشقفه الأذهان الخصبية من براعة الفكرة وملاحة النكتة وطلاوة الخبر وسلامة النقـــد وصحة الحكم ، فلا يدعون شأناً من شؤون الحياة ، ولا وجهاً من وجوه السياسة ، ولا أمراً من أمور البلد ، إلاّ تناولوه باللسان المرهف والفؤاد اليقظ والنظر المستقل ؛ فهم معارضون ولا لسان لهم فى حزب ، ومصلحون ولا يدَ لهم فى زعامة

كانوا يمثلون نواحى النشـاط الفكرى فى العراق أصدق التمثيل ؛ ففيهم رجل الجيش ، ورجل التعليم ، ورجل القانون ،

(١) كان ذلك فى سنة ١٩٣٢

ورجل الطب ، ورجل المال ، ورجل الشعب ؛ ذلك إلى امتياز كل منهم بسمة من سمات الطبع وصفة من صفات الخُلق ؛ فطه الهاشمي[١] عذب الروح ، سَرِيُّ الأخلاق ، وقور النفس ، مصروف الهم إلى القراءة المنتجة والتأليف المحكم فيما يتصل بالتاريخ والحرب ، ولو تُرك إلى نفسه لما خرج من مكتبته ولا قام عن مكتبه ؛ وناجي الأصيل[٢] نبيل العاطفة ، حلو الفكاهة ، سمح القادة ، أفلاطوني النزعة ، يعيش في السماء ويحلم دائما بالمدينة الفاضلة ؛ ويوسف عز الدين[٣] متئد اللسان ، حصين الصدر ، سريع الفطنة ، يتبسط في هزل الكلام ويتحوَّط في جده ، وهو لا يَنفَكُّ لإخوانه موضع السرّ ومرجع المشورة ؛ وكامل الچادرچي[٤] متوقد الذكاء ، متمرد الطبع ، متوثب العزيمة ، دائب الحركة ، صليب الرأي ، يدين بالديمقراطية ، ويميل إلى الاشتراكية ، ويرفرف بجناحيه على الفلاح والعامل والعاطل ؛ وموفَّق الألوسي[٥] طموح القلب ، سريع البادرة ، بارز الشخصية ، يعتد برأيه إلى حد العناد ، ويعتز بنفسه إلى حد المخاطرة ؛ وشوكت الزهاوي[٦] واسع البال ، ضيق الأفق ، قد قصر جهده على عمله فلا يكاد يطمع في شيء ، ولا يشارك في رأي ، ولا يحفل بحادث ؛ وأولئك كانوا لِما اجتمع لهم من ضروب الثقافة وشتى الخلال صورة مصغرة للأمة ، يعيشون منعزلين وهم فيها ، ويفكرون مستقلين وهم منها ، كأنهم كانوا لآمالها رموزاً تميز تميز العنوان ، وتنفرد انفراد العلم . كانوا جميعاً في ربقة الحكومة إلا كاملاً ، فكان للجماعة الكلمة الحرة والفكرة الطليقة . وقف على السياسة الصريحة قواه ، وأيقظ لأطوارها المختلفة رأيه ، فكان يناصر الحزب ما دام معارضاً ، فإذا قَبِلَ الحكم تركه إلى غيره ، حتى انفرد ذات يوم بالمعارضة . كان اليد اليمنى لياسين في حزب الإخاء الوطني ، وياسين أمل البلاد المرجو وزعيمها المنتظر ، فلما رآه يقصد الحكم عن طريق الملاينة والسايرة خالفه ومعه مقاعد البرلمان ووظائف الديوان ومزايا السلطة ، وخرج مُغاضباً إلى الجهاد بالنفس والمال ، فزاول المحاماة ، وعالج الصحافة ، ولقي في سبيل ذلك ما يلقى المعارضون المتزمتون من الضيق والعنت

* * *

كان لي في هذه (الحلقة) كرسي وثير دائم ، يحيطه الإخوان بالعطف ويخصونه بالكرامة ؛ وكنت أجد في نفسي من الأنس بهم والطمأنينة إليهم ما لا أجده لجماعة أخرى ، فكنت أناقلهم شجون الحديث فأعلم منهم ما لا أقرأ في الصحف ولا أسمع من الناس ولا أرى في الحكومة . كانوا يحملون في نفوسهم آمال العراق الناشئ ، وفي رؤوسهم ثورة الشباب الجديد : سياستهم الجماعة قبل الفرد ، والعامة قبل الخاصة ، والعراق قبل العروبة . ولكن آراءهم كانت في رأيي أشبه بأحلام الفلاسفة تحت رواق المعبد ؛ لأنك إذا استثنيت كاملاً لا تجد فيهم من يفكر في انقلاب أو يجهر بمعارضة

تركتُ العراق وفيصل ونوري وجعفر قد مكَّنوا لدولته بالمرونة اللبقة والسياسة التجارية التي تعطي لتأخذ ؛ وكان شباب البلاد قد سئموا سياسة الأمر الواقع وبَرِموا بالإرادة المطلقة ، فتمنوا حكومة زعيمهم المحبوب ياسين ؛ وتسلم ياسين مقاليد الأمور ، وانضوى إليه رفيقاه ، وآل إليهم سلطان البلاط بالفعل ، ونفوذ (دار الاعتماد) بالقانون ؛ وسارت السفينة آمنة — كما يرى البعيد — من الآلام والصخور ، ثم تفرقت السبل بعدئذ برجال الحلقة

* * *

طخ ! طخ ! طخ ! ثلاث قنابل ألقتها ثلاث طوائر على سراي الحكومة ! فروَّعت الموظفين وأفزعت الأهلين ، فأخلوا السراي وأغلقوا المدينة ! ماذا ؟ الجيش الثائر يحاصر بغداد ويطلب إلى المليك إقالة الوزارة ! وبكر صدق الفاتك الطماح يقترح للوزارة الجديدة حكمت سليمان ! وحكمت سليمان يُدخل في وزارته الحلقة ما عدا طرفيها . لقد كان صديق الحلقة ، وكان في معارضته من طراز (كامل) لا يحفل الثراء ولا يبالي المنصب ، حتى رووا أنه ضاق يوماً براتب سائقه فذهب به إلى قائد الشرطة يرجو منه أن يجد له عملاً يعيش عليه !

احمد حسن الزيات

(١) رئيس أركان الجيش (٢) مدير دار المعلمين العليا (٣) مراقب الميزانية (٤) من سراة بغداد (٥) مدير كلية الحقوق (٦) طبيب بالصحة

٢ ـ القلب المسكين (١)

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

أما صاحب القلب المسكين فرأى الضحكة التي ألقت بها صاحبتـه وهي ترقص حين عرفته — غيرَ ما رأيتها أنا وغيرَ ما رأى الناس . كانت لنا نحن ابتساماً عذباً من فم جميـل يتمُّ جماله بهذه الصورة ، وكانت له هو لغة من هذا الفم الجميل يُتم بها حديثاً قديماً كان بينهما . واعترانا منها الطربُ واعتراه منها الفكر ، ووصفت لنا نوعاً من الحسن ووصفت له نوعاً من الشوق ، ومرت علينا شـعاعاً في الضوء ووقعت في يده هو كبطاقة الزيارة عليها اسم مكتوب . . .

وقوى إحساسُ الراقصة الجميلة بعد ذلك فانبعث يدلُّ على نفسه ضروباً من الدلالة الخفية ، ورجعت بهـذا الاحساس كالحقيقة الشعرية الغامضة المملوءة بفنون الرمز والإيماء وكأنها زادت بهذا الغموض زيادة ظاهرة ، والمرأة لحظاتٌ تـكون فيها بفكرين حينما يكون أحـدُ الفكرين ماثلاً أمامها في رجل تهواه ؛ ففي هذه الساعة تتحدثُ المرأة بكلام فيه صمت يشرح ويفسر ، وتضطرب بحركة فيها استرخاءٌ يميل ويعتنق ، وتنظر بألحاظ فيها انكسارٌ يأمر ويتوسـل ، وكانت هي في هذه الساعة ... فغلبت والله على صاحبها المسكين وتركت نفسه كأنها تتقطع فيه من أسفٍ وحسرة ؛ ثم كانت له كالزهرة العبقةِ بينه وبينها جالها وعطرُها وهواؤها والحاسةُ التي فيه

وجعـل يستشِفُّها من خِلال أعضائها وهي ترقص ، ثم قال لي : انظر ويحك ! لكأن ثيابها تضمُّها وتلتصق بها ضمَّ ذي الهوى لمن يهوى

قلت : ما هي إلا كهاتين اللتين ترقصان معها : امرأة بين امرأتين وإن كانت أحسن الثلاث

قال : كلا ، هذه وحدها قصيدة من أروع الشعر تتحرك بدلاً من أن تُقرأ ، وتُرى بدلاً من أن تُسمع ؛ قصيدة بلا ألفاظ ولكنَّ من شاء وضع لها ألفاظاً من دمه إذا هو فهمها بحواسه وفكره وشعوره

قلت : والأخريان ؟

قال : كلا كلا ، هذا فن آخر ، فالواحدة من هؤلا المسكينات إنما ترقص بمِعدَتِها . . . ترقص للخبز لا غير أما (تلك) فرقصها الطرب مصنوعاً على جسمها ومصنوعاً من جسمها ؛ إنها كالطاووس يتبختر في أصباغه ، في ريشه ، في خُيلائه ، بختراً يضاعفها الحسنُ ثلاثَ مرات . ولو خلق الله جسمين أحدهما من الجواهر أحمرها وأخضرها وأصفرها وأزرقها ، والآخر من الأزهار في ألوانها ووشْيها ، ثم اختال الطاووس بينهما ناشراً ذيله في كبرياء روحه الملوَّنة — لظهر في وحدهُ اللون الملِكُ بين ألوان هي رعيته الخاضعة

* * *

وانتهى رقص الحسناء الفاتنة وغابت وراء الستارة بعد أن أرسلت قُبلةً في الهواء ... فقال صاحبنا : آه لو أن هذه الحسنا تصدقت بدرهم على فقير ، لجعلته لمسة يدها درهما وقُبلة ...

قلت : ياعدوَّ نفسه ! هذه قبلة مُحرَّرة مسددة وقد رأيتم وقعتْ هنا ... ولـكنك دائماً في خصام بين نفسك وبين حقائق الحياة . تعشق القبلة وتخاصم الفم الذي يلقيها ، وتبني العُش وتتركه فارغاً من طيره . إن المرأة التي تحبك لا بد لأن تنتهي إلى الجنون ما دامت معك في غير المفهوم وغير المعقول وغير المكن

ثم بدأ فصـل آخر على المسرح وظهر رجال ونساء وقصة وكان من هؤلاء الرجال شيخ يمثل فقيها وآخر يمثـل شُرطياً فقال صاحبنا الفيلسوف : لقد جاءت هذه الثيابُ فارغة وكأنَّ الآن تنطق أن صحـة أكثر الأشياء في هـذه الحياة صحة الظاهر فقط ما دام الظاهر يُخلع ويلبس بهذه السهولة ؛ فكم في هـذه الدنيا من شرفاء لو حققت أمرهم وبلوت الباطنَ منهم لرأيتم إنما يشرِّفون الرذائل لأنهم يرتكبونها بشرف ظاهر ... وكم من أغنياء ليس بينهم وبين اللصوص إلا أنهم يسرقون بقانون . وكم من فقهاء ليس بينهم وبين الفَجَرة إلا أنهم يفجرون بمنطق وحجة ... ليست الانسانية بهذه السهولة التي يظنها .

(١) نشرت المقالة الأولى في العدد ١٧٣ من الرسالة

يظن والا ففيم كان تعبُ الأنبياء وشقاء الحكماء وجهادُ أهل النفوس ؟

العقدة السماوية فى هذه الأرض أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الانسان إلا حيوانا متلطّفاً تلطيفاً إنسانياً ؛ ثم أراه الخير والشر وقال له اجعل نفسك بنفسك انسانا وجئنى

قلت : ياعدوَّ نفسك ، فما تقول فى حبك هذه الراقصةَ وأنت حيوان ملطاف تلطيفاً انسانياً ؟

قال : ويحك ! وهل العقدةُ إلا هنا ؟ فهذه مبذولةٌ ممكنة ، ثم هى لى كالضرورة القاهرة ، فلا يكون حبها إلا إغراءً بنَيلها ، ولا تكون سهولةُ نيلها إلا إغراءً لذلك الاغراء ؛ فأنا منها فى امرأة وحب ، ولكنى فى امتحانٍ شديد عَسِر أغالب ناموسا من نواميس الكون ، وأدافع قانوناً من قوانين الغريزة ، وأظهر قوتى على قوة الضرورة الميسرة بأسبابها ، وهى أشد الضرورات عنفاً وإلحاحاً وقهرا للنفس من قِبَل أنها ضرورة لازمة ، وأنها مهيَّأة سهلة . فلو أن هذه المرأة المحبوبة كانت ممتنعة بعيدةَ المنال لما كانت لى فضيلة فى هذا الحب العفيف ، ولكنها دانيةٌ ميسرة على الشغف والهوى ؛ فهذا هو الامتحان لأصنع أنا بنفسى فضيلةَ نفسى

* * *

ومر الفصل الذى مثّلوه وما نشعر منه بتمثيل فقد كان كالصورة العقلية المعترضة للعقل وهو يفكر فى غيرها ، وكانت (الحقيقة) فى شىء آخر غير هذا . ومتى لم يتعلق الشعورُ بالفن لم يكن فيه فن ؛ وهذا هو سر كل امرأة محبوبة ، فهى وحدها التى تثير شعورَ الحب فى نفسه فيشعر من حسنها بحقيقة الحسن المطلق ، ويجد فى معانيها جواب معانيه ، وتأتيه كأنها صُنعت له وحده ، وتجعل له فى الزمان زمناً قلبياً يحصر وجوده فى وجودها

وليس فن الحب شيئاً إلا استطاعةَ الحبيب أن يجعل شهواتِ الحب شاعرة به ممتلئةً منه متعلقة عليه ، كأن به وحده ظهور جَسَدية هذا الجسد وروحانية هذه الروح . وكل ما يتزين به المحبوب للمحب ، فانما هو وسائل من المبالغة لاظهار تلك المعانى التى فيه كيما تكبر فيدركها الحب بدقة ، وتثور فيحسّها العاشق بعنف ، وتستبد فيخضع لها المسكين بقوة

والشهوات كالطبيعة الواحدة فى أعصاب الانسان ، وهى تتبع فكره وخياله ؛ ولا تَتَفاوتَ بينها إلا بالقوة والضعف ، أو التنبه والخمود ، أو الحدة والسكون ؛ غير أنها فى الحب تجد لها فكراً وخيالاً من المحبوب ، فتكون كأنها قد غيرت طبيعتها بسرٍ مجهول من أسرار الألوهية . ومن هنا يتأله الحبيب ، وهو هو لم يزد ولم ينقص ولم يتغير ولم يتبدل ، وتراه فى وهم محبه يفرض فروضاً ، ويشرع شريعة من حيث لا قيمة لفروضه وشريعته إلا فى الشهوة المؤمنة به وحدها

ومن ثم لا عصمة على الحب إلا إذا وجد بين إعانين أقواهما الايمانُ بالحلال والحرام ، وبين خوفين أشدهما الخوف من الله ، وبين رغبتين أعظمهما الرغبةُ فى السموّ

فان لم يكن الفاسق ذا دين وفضيلة فلا عصمة على الحب إلا أن يكون أقوى الاعانين الحرص على مكانة المحبوب فى الناس ، وأشد الخوفين الخوف من القانون ... وأعظم الرغبتين الرغبة فى نتيجة مشروعة كالزواج

فان لم يكن شىء من هذا أو ذاك فقلما تجد الحب إلا وهو فى جراءة كفرين ، وحماقة جنونين ، وانحطاط سفالتين . وبهذا لا يكون فى الانسانين إلا دون ما هو فى بهيمتين

* * *

ثم جاء الفصل الثالث وظهرت هى على المسرح . ظهرت هذه المرة فى ثوب مركيزة أوربية تحاصر عشيقا لها فيرقصان فى أدب أوربى متمدن ... متمدن بنصف وقاحة ؛ متأدب ... متأدب بنصف تسفّل ؛ مشروع ... مشروع بنصف كفر ؛ هو على النصف فى كل شىء حتى ليجعل المذرّاء نصف عذراء ؛ والزوجة نصف زوجة ...

وكان الذى يمثل دور العشيق فتاةً أخرى غلامية مجمَّمَةَ الشعر[1] ممسوخةً بين المرأة والرجل . فلما رآها صاحبنا قال : هذا أفضل . . . .

(١) المجممات هن اللواتى يحذفن شعورهن جمة (بضم الجيم) أى يقصصنها كما يفعل نساء هذه الأيام تشبهاً بالرجال . وقد كان ذلك مما تصنعه نساء العرب ونهى الاسلام عنه كراهة لهذا التشبه . فقص الشعر (على المودة) هو التجميم

وهشّت الحسناءُ وتبسّمت وأخذت فى رقصها البديع فانفصل عنى الصديق وأهملنى وأقبل عليها بالنظرة بعد النظرة بعد نظرة ، كأنه يكرر غير المفهوم ليفهمه ، ورجع وإياها كأنه فى عالم من غير زمننا تقدّمه عن عالمنا ساعة أو تؤخره ساعة . وكانت جملةُ حاله كأنها تقول لى : إن الدنيا الآن امرأة ! وكان من السرور كأنما نقله الحب الى رتبة آدم ونقل صاحبته الى رتبة حواء ، ونقل المسرح الى رتبة الجنة

والعجيب أن القمر طلع فى هذه الساعة وأفاض نوراً جديداً على المسرح المكشوف فى الحديقة فكأنه فعل هذا ليُتمّ الحسن والحب . وأخذ شعاع القمر السماوىّ يرقص حول هذا القمر الأرضى فكانت الصلة تامة وثيقة بين نفس صاحبنا وبين الأرض والسماء والقمرين

ما هذا الوجه لهذه المرأة ؟ إنه بين اللحظة واللحظة يعبّر تعبيراً جديداً بقسماته وملامحه الفتانة . كل البياض الخاطف فى نجوم السماء يجول فى أديمة المُشرق ؛ وكل السواد الذى فى عيون المها يجتمع فى عينيه ؛ وكل الحمرة التى فى الورد هى فى حمرة هاتين الشفتين

ما هذا الجسمُ المتزن التموجُ المفرَغ كأنه يندفق هنا وهنا ؟ إنه جسم كامل الأنوثة ؛ إنه صارخ صارخ ؛ إنه عالم جمالٍ فيه كما تقول الفلسفة حين تصف العالم : فيه «جهةُ فوق» و «جهة تحت» . لو امتدت له يد عاشقه لجمل فى خمس أصابعها خمسَ حواس . . . .

ما هذا ؟ ما هذا ؟ لقد خُتم الرقصُ بقبلة ألقاها الخليل على شفتى الخليلة ، وكانت تركت خصرها فى يديه وانفلتتْ تميل بأعلاها راجعة برأسها الى خَلْف ، نازلةً به رُوَيداً رويداً الى الأرض ، هاربة بشفتيها من الفم المُطِل عليها . وكان هذا الفم ينزل رُويداً رويدا ليدرك الهارب . . .

وقبل أن تقع القبلة التفتت لفتةً الى . . . . ثم تلقّت القبلة

أما هو ؛ أما مجنوننا ؛ أما صاحب القلب المسكين ؟

(لنطلع) «لها بقية» محمد عبد الحليم

الأدب والخلود

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

عشت سنين عديدة — أكثر عمرى — بالخيال والهم . وكانت دنياى تحد من كل ناحية بجدران مكتبتى ومنظارى المكبر الذى أنذر به الحياة وأستعين على درسها بقوته وقدرته على الجلاء والكشف والتوضيح ، الكتب الكثيرة المرصوصة على رفوفها . وكانت رياضتى حين آكل وأتعب ويبلغ منى الجهد أن أدير عينى فى صفوف هذه الكتب التى كنت أنتق أنفس الطبعات منها وأحسنها ورقا وأجودها جلداً وأحلاها منظراً . فلما صدمتنى الحياة — مرة وأخرى — ورأيت أزهار آمالى وورق آرائى التى كنت أحسبها خالدة النضرة دائمة البهجة ولا أظن بها إلا أنها ستظل رفافة أبداً — أقول لما رأيتها تصفر وتتساقط وتذوى وتجف وتتكسر وتتفرك فى يدى وتحت قدمى راعنى عظم جهلى ، وهالنى الشعور بالوحدة والوحشة والغربة فى هذا العالم الزاخر الذى احتجت برغمى أن أخوض بحره وأرمى بنفسى فى عبابه وأنا لا أدرى كيف أسبح فيه وأتقى الغرق

وأنصف الكتب فأقول إنها لم تتشنى ولم تخدعنى ولم تتعمد أن تزيف صور الحياة ، ولكنى اقتصرت عليها واستغنيت بها ، فصرت لا أرى الحياة إلا بعيون أصحابها ، ولا أحسها بغير أعصابهم ، حتى ليخيل إلى الآن — من حيث معرفتى يومئذ بالحياة وإحساسى بوقعها وفهمى لها وتجربتى لأحوالها — أنى كنت أشبه بكتاب مختارات من جملة ما قرأت وحصلت ، ولست بانسان له وجود وشخصية وكيان مستقل . ومن متناقضات ذلك العهد أنى كنت من أعظم الكتاب تحمساً للدعوة إلى تحرير الأدب العربى من رق التقليد وإن كنت أنا لا أعدو أن أكون نسخة مختصرة لكل قديم من الآراء والمذاهب والاحساسات والخوالج . وليس هذا ذنب الكتب وإنما هو ذنبى . على أنى لو كنت وجدت من يرشدنى لرشدت ولا تنفعت بما ضاع من عمرى ، ولكنى لم أجد هذا المرشد والناصح الأمين والقدوة الحسنة لا فى المدرسة ولا فى البيت ولا فى الاخوان ، فقد كان شأنهم كشأنى ، سوى أنهم

كانوا أحكم مني وأرشد بطبيعتهم وأهدى سبيلاً ، فلم يقعوا فيما وقعت فيه ولم يضيعوا مثل ما ضيعت من عمري

وأحسست بخيبة الأمل والضيعة في كل ناحية ، فاسودت الدنيا في عيني وخامرني اليأس ، وظهر ذلك في كل ماعالجت من فنون الأدب وألوانه ، وهجرت العمار إلى الخراب ، وانتقلت من المدينة الحية التي تمج بالناس وتزخر بالحياة إلى الصحراء المنقطعة ورمالها الصفراء وجدبها الرائع وفضائها الرحيب وسمتها العقيمة ، لأني رأيت أنها أولى بي ، وأن المقام في خرابها العظيم أرفق بنفسي المتهدمة وآمالي التي درست وهماتي التي فترت

وتعاقبت السنون — أربعة عشر عاما كاملاً — وأنا أجد الأنس بالصحراء والروح فيها والراحة بها . نعم كنت أتحدر إلى المدينة كل يوم وأرى الناس وأعمل معهم وأكد وأسعى ، ولكني كنت لا أشاطرهم شعورهم بالحياة وإن كنت لا أثقل عليهم بما أحس . وكنت أكون معهم ، ولكني بقلبي وعقلي مع الصحراء ، فلا أكاد أعود إليها حتى أحس أن حجراً قد انحط عن صدري وأنه صار في وسعي أن أتنفس وأن أنضو ما أتكلفه مع الناس وأواجه حقيقة نفسي التي أضمرها وأخفيها عن العيون واسترها حتى لا أوذي الناس بها

ولكن الصحراء معدنها خصب وإن كانت ظاهرة الجدب حتى لتبدو كأن لا أمل فيها ، وإن قلبها لعامر وإن كانت في رأي العين خواء قواء . وإن الاحتمالات التي تنطوي عليها لأكثر من أن يأخذها حصر ، وما ينقصها إلا أن تساعفها الأحوال . وهل مصر كلها إلا صحراء جرى فيها نهر واحد فانقلبت من جنات الدنيا ؟ فهذه الصحراء أيضاً جنة مضمرة وفردوس مكنون

وصار مجرى هذا الخاطر في نفسي عميقاً على الأيام ، فقلت لنفسي في خلواتي الكثيرة بها : إن هذه الصحراء فيها قوى مستورة مقيدة تنتظر الانطلاق ، وخصباً محجوباً لو وجد ما يظهره لربا فيها النبات واهتز ورف وزكا . وأنا أيضاً مثلها . ولم لا ؟ أأكون أعقم وأجدب من التراب والحصى والرمال الصفراء ؟ . . . وقد انتشرت على سطح نفسي طبقة كثيفة من القنوط غطت ما انطوى عليه من الزكاء والطيب والريع الكثير الوفير ، وما أظن بها إلا أن فيها خمائل أمل مدفونة ورياض خير أحسبها على الرغم من كل شيء لا تزال مخضلة يترشش نداها . وإن النفس لأقدر — أو هي ينبغي أن تكون أقدر من التراب على تربيت الندى وحفظه وادخاره . وإذا كانت تربة بعض النفوس مبكاراً فليس بضائري أن تكون تربة نفسي مثخاراً . وما يمنعها التأخر بعد أن تبشر ويخرج نباتها أن يسرع ويطول ويقوى . وإذا كانت هذه الصحراء تنتظر أن يجيئها الغوث من الخارج فان النفس غياثها فيها . وللصحراء السحب التي تجري الماء على وجهها ، وللنفس مدد كاف من حيويتها التي هي في أعمق أعماقها . وأحسب أني لو حفرت في هذه الأرض لبلغت الماء ولو بعد عمق كبير . كذلك أحسب أني لو مهت نفسي وحفرت فيها لوقعت في بعض أعماقها على ماء غير قليل ؛ وسأحتاج أن أرى التراب وأخرج الطين والحجارة وأن أنكشها من حين إلى حين حتى لا تعود حأتها فتتجمع وتسدها مرة أخرى

واقتنعت بذلك وصح عزمي على أن من الواجب تنقية نفسي — أو بئرها — مما سد منابع الماء في أعماقها المجهولة ، فأعددت العدة لذلك وجئت بالمعلات والمعاول والمجارف والحبال والمقاطف والدلاء إلى آخر ذلك مما يحتاج اليه المرء في الحفر . وقلت لنفسي : « إسمع ياهذا .. إنك لا تستطيع أن تحتفر إلا إذا وسعت ، فما تدري أقريبة المنزع بئر نفسك هذه أم بعيدته ؟ والأرجح أن تكون بعيدة وأن تكون قد تكدست فوقها أكوام شتى وطبقات متراكبة من أوحال السخافات المختلفة المتعددة التي عشت بها هذا العمر كله . فيجب من الآن — وقبل الشروع في الحفر — أن توسع صدرك وتوطن نفسك على الشك في كل ما أخذت به من الآراء والمذاهب ، أي على اعتبار أن كل ما كان عندك بمنزلة العقائد التي لا تقبل الجدل يجب أن يعاد بحثه بغير هوى ، وإلا كان ما يوشك أن تحاوله الآن من الحفر عملاً لا خير فيه ولا جدوى منه ، وأولى بك حينئذ أن تنصرف عنه . وكما أن الذي يحتفر بئراً لا يستطيع ذلك إذا هو اجتزأ بثقب ضيق إشفاقا على الأرض أن يفسد منظرها بتوسيع الفوهة وأن يشوه استواءها ، كذلك أنت لا تستطيع أن تصل إلى شيء إذا كنت ستصر على آرائك القديمة ، فاضرب فيها كلها بمعولك وانظر كيف ثباتها ، وهل تحتمل ذلك أم تتناثر وتتبعثر ذراتها وتنقلب تراباً يطير كالهباء ،

وهذا أول ما ينبغي أن تروض وتوطن نفسك عليه وإلا فتعبك ضائع مع الرياح الأربع

ولم أجد لي معدى عن الرضى بمراجعة النفس وإعادة النظر بغير هوى في كل ما كنت أعده من الحقائق المفروغ منها . فقلت لنفسي : « يجب أن أبدأ من البداية . والبداية هي أني خلقت لأعيش وأعطيت الحياة لأحيا . وهذا من البداهة ، إذ لا يعقل أن أكون أعطيت الحياة لأرميها للكلاب ، وإلا فلماذا أعطيتها إذن ؟ وما دام الأمر كذلك فأن واجبي الأول هو أن أعيش وأحيا ، وأن أحرص على الحياة وأضن بالعيش أن يفسده شيء بقدر ما يدخل هذا في الوسع . ثم إني لم أعط حياة الأبد ، وإنما أعطيت حياة محدودة لها آخر كما لها أول ، وهذا يضاعف وجوب الحرص عليها والضن بها على المفسدات ، لأنها فضلاً عن القصر يسهل زوالها ويضيع معناها بسوء الرأي . وعلى إذن أن أتقي من جوها كل ما ينغص هذه الحياة أو يقصر عمرها أو يفسد فترتها . وأول ما ينغص هذه الحياة ويضيع معناها ويفسد الغاية منها ويعكس الآية فيها ويقلبها عذابا وجحيما ، هذا الأدب الذي جننت به وضيعت خير شطر من عمري فيه . وما هو الأدب على كل حال ..؟ هو شيء — أعني كلاما — يحاول صاحبه به أن يوهم الناس أنه خير منهم وأرق وأذكى وأفطن وأحس وأعلم ، وأن خطوهم وراءه بأجيال إذ يخطو هو على مهل . ثم يرتقي المرء من إيهام الناس إلى إدخال الوهم على نفسه هو فيزعمها خالدة باقية على الزمن بآثاره — أي بالكلام الذي يصوغه — على حين تفنى كل هذه الملايين من معاصريه وممن جاءوا قبله ومن سيجيئون بعده . فلماذا بالله يخلد كلامه وحده دون كلام هذه المئات العديدة من الملايين في كل أمة وكل زمن ؟ . . . ثم كيف يتاح هذا الخلود في حياة قائمة على الفناء المحقق ؟ . . وليس الخلود ألف سنة ولا ألفين ولا ثلاثة ولا أربعة أو أكثر . . وانظر من ذا الذي خلد إلى الآن ... وفكر في أمل الذين تذكرهم إلى اليوم في دوام الذكر على الزمن . . . وإذا كنت الآن أعجب لشيء فاني أتعجب لذاك الذي يستطيع أن يفهم الخلود ويقنع بما فهم من معناه نفسه . وأعترف بأني كنت أومن بالخلود في هذه الدنيا الفانية ، ولكني أعترف أيضاً أنها كانت عندي كلمة حلوة أرتاح إليها وأحس لها ندى على النفس وبرداً على القلب من غير أن أدرك لها معنى محدوداً جلياً . وإذا كان هناك من يؤمن بهذا الخلود فيخيل إلى أنه إما أن يكون شاباً لم يعان الحياة ولم يواجه حقائقها ، أو هو رجل لا يزال قادراً على مغالطة نفسه أو على الايحاء اليها ، أو فيه لوثة تمنع أن يجيء تفكيره مستقيماً ؛ وقد يكون هناك غير هؤلاء فما أدعي الأحاطة ولا ما هو قريب منها . وبدا لي وأنا أفكر في هذا أن من السخف أن يتصور المرء أنه سيخلد بآثاره لا لسبب إلا أنه نشر كتاباً وأن الصحف أثنت عليه ومدحته . كأن الأجيال المقبلة ستعقم صحفاً وكتاباً هم أقرب إلى نفسها ومزاجها وأساليب تفكيرها وإلى إحساساتها واتجاهاتها ونزعاتها من كتاب الجيل الذي مضى أو الأجيال التي اندثرت . وغريب أن يعتقد إنسان أن آراءه وأساليب تفكيره وكتابته الخ تظل هي الحبيبة الأثيرة إلى كل عصر على الأزمان كلها !

كانت فكرة الخلود أول ما أخرجته وألقيته من الأوحال التي تراكمت على نفسي وحرمتني نعمة الشعور بالحياة — كما ينبغي أن يكون الشعور بها — والارتياح اليها . فقد كنت أستسخف الناس وأستحمقهم وأستقل عقولهم وأحتقر عواطفهم وأراهم دوني في كل شيء ، ولا أكاد أطيق منهم معارضة أو مخالفة يسيرة أو ملاحظة بريئة يحسن فيها القصد ولا تسوء النية ؛ وكنت أترفع عنهم وأحس أني متواضع جداً حين أجالس أحدهم ؛ وكان يزيد شعوري بالتواضع ويضاعفه أن أراني أكلمهم كما يتكلمون وأجاريهم في أحاديثهم الفارغة وثرثرتهم الجوفاء فأرضى عن نفسي كل الرضى وأقول لها في تسويغ هذا التواضع : « وماذا عسى أن يصنع البصير بين العميان ؟ » وما أكثر الأعمال التي تركتها وفقدت رزقي منها لأني لم أطق بين صاحبها الذي كنت أعمل معه أن يكلم رجلاً خالداً مثلي كأنه من أندادي — أو أن أسمع كلاماً يشعرني أنه لا يفطن إلى قيمة من هو معه ولا يدرك أنه خالد وأنه حقيق بالتقديس وجدير بأن يركع أمامه على ركبتيه . ولقد خاصمت مرة رجلاً لأنه لم يأخذ برأيي ولم يصدر عن مشورتي ، فعددت منه هذا تطاولاً على مقامي ؛ وغضبت على آخر لأنه نظر إلى نظرة تبينت فيها الحسد كأن ما وهبنيه الله يمكن أن يطمع في مثله طامع . والويل لمن كان يحدثني ولا

يحرص على أن تكون عينه فى عينى . . إذن هو يتعمد أن يفهمنى أنه يستخف بى وأنا الذى يعيى الزمان مكان نده

وبعد أن أخرجت الخلود وأفرغت القفة من طينه أحسست أنى حططت عن صدرى جبلاً فقلت : « ياسلام . . . أما إنها لراحة كنت محروماً منها ... والله لقد كنت مغفلاً .. وما الذى أغرانى بوضع هذا الجبل كله على صدرى ... وكيف بالله كنت أرجو أن أتنفس ... أعوذ بالله .. والحمد لله . . »

وبعد أن أخذت حظى من الراحة قلت لنفسى : « إذن ما الرأى فى هذا الأدب الذى نكبنى بفكرة الخلود وزين لى هذه المصيبة التى رزأت بها نفسى ؟ « وفكرت ثم قلت » ما دمنا قد خلصنا من مصيبة الخلود ، فالأدب أولاً يكون وسيلة للتنفيس عن النفس والتخفيف عنها وإراحتها من ثقل المواطف والخوالج ، وهذا هو الذى يسميه غيرى فناً ذاتياً — وقد كنت مثلهم أفعل ذلك — وأسميه أنا سلوى شخصية ، والمسألة ميل واستعداد . . فهذا يجد ما يسليه ويرفه عنه فى الألعاب الرياضية ، وذاك يلتمس الترفيه فى القمار ، وثالث يجد التسرية فى الرقص ، ورابع يفوز بها من الأدب — أى من رص الكلام الفارغ . وليس الكلام الفارغ هو الذى يسرى عن النفس ، وإنما هو المجهود الذى يبذله المرء فى رصف هذا الكلام . ومجهود رصف الكلام هو مجهود بدنى ككل مجهود آخر ، والمرء يحس بالأعياء والتعب بعده كما يحس بعد لعب الكرة أو غيرها . ولعل الأعياء فيه أشد لقلة الحركة الجسمية ، وكثرة ما ينهك من الأعصاب

ثم يتقلب الأدب صناعة مع طول المزاولة والتدريب ، كما يمكن أن يتقلب أى فن آخر ؛ ويصبح كما هو الحال والواقع عندى . ومن الناس فى الأدب الهاوى أى الأديب الذى لم يتحول على الأيام وبالمزاولة صانعاً ، فهذا لا يزال يتخذه سلوى وملهاة يزجى بها الفراغ ويريح بها النفس ويرفه عن الأعصاب وإن كان يتعبها من ناحية أخرى كما يتعب المرء نفسه بالتنس والسباحة وغير ذلك : أما من صار مثلى فالأدب عنده صناعة وإن شق عليه أن يعترف بذلك ورأى فى الاعتراف به غضاضة أو توهمها على الأصح لطول ما راض نفسه على النظر إلى الأدب كأنه فن سلوى يُغرى به الذى تميزه الطبيعة وتكتب له عندها الخلود كأن الطبيعة تحابى الناس على نحو ما يحابى الخلق بعضهم بعضاً

وخرجت من هذا التفكير بأنى فى الواقع فتحت دكان أدب إذا أحسنت الاعلان عنها ولفت النظر إليها وأجدت عرض ما فيها من البضاعة فأنى خليق أن أفوز بالاقبال عليها والطلب لما فيها فيكثر كسبى ويعظم ربحى كما هو الحال فى كل تجارة أخرى . ولا فرق بين غيرى من الأدباء وبينى إلا على قدر اعتمادهم فى رزقهم على الأدب ؛ فمن كان معوله مثلى عليه فالأدب عنده صناعة لا شك فى ذلك ، وإلا فهو رجل يسر الله له رزقه فى وسعه أن يتسلى بالأدب كما يمكن أن يتسلى باقتناء الديكة أو الثعابين أو السجاجيد أو بالكرة أو التنس أو السباحة أو التوغل فى مجاهل الأرض لصيد الأسود والفهود والفيلة إلى آخر ما يمكن أن يلهو به انسان إذا رزق الوسيلة

ولما انتهيت من هذا كله سهل على أن أتلقى الحياة كما يتفق أن تجىء وأن أتقبلها بلا تذمر أو تسخط . وهان على ما كان يبدو لى عسيراً فيما مضى قبل أن يرتد إلى عقلى الذى ذهب به جنون الأدب ، فان لكل فن ضرباً من الجنون ، وليس الأديب الذى يتوهم أنه خالد ويطلب أن يعامله الناس على هذا الاعتبار بأقل جنوناً من بائع الفول المدمس الذى يأبى أن يبيعك منه شيئاً ولو بذلت له مال قارون إلا إذا تقدمت إليه فى تواضع ظاهر وقلت له إنى أريد « لوزاً » بقرش . ولا فرق عندى — الآن — بين اعتداد الأديب بأدبه إلى ذلك الحد المبالغ فيه وبين تجبر بائع الفول وتحتيمه عليك أن تسمى فوله لوزاً لظنه أن تسميته لوزاً أبلغ فى التبجيل وأدل على التوقير . وما يطلب بائع الفول فى الحقيقة أن توقر الفول وإنما يطلب أن توقره هو ، ولكنه يشعر أن طلب التوقير لشخصه مباشرة قد لا يليق الارتياح ، فهو يجعل من الفول أداة لما يشتهى ويروم ولا يفطن إلى أن الناس يجارونه ويضحكون منه ويتفكهون فيما بينهم بالتنكيت عليه لأنه لا يرى الضحك ولا يسمع النكت ، وإنما يرى مظاهر الاحترام المتكلف ويسمع فوله يدعى لوزاً . وليست النعامة وحدها هى التى تستطيع أن تغالط نفسها وتتجاهل ما تنغض عينها عنه فأننا جميعاً مثلها وان كنا لغرورنا نضرب بها المثل فى الحماقة . وكذلك الأديب الذى يطلب منك الاحترام والتوقير لخلوده إنما يطلب

هذا لشخصه لا لأدبه ؛ ولو أمكن أن يهتدى إلى وسيلة أخرى تنيله ما يشتهى وما تتعلق به نفسه من الاجلال والاكبار غير الأدب لما قصر فى اتخاذها ، ولكان الأرجح — إذا وجدها أجدى عليه — أن يتساهل فيما يجب للأدب من الاكبار ، بل لرأيته يدعى أنه إنما يكتب أو ينظم أحياناً للتسلية لا لمنافسة الأدباء المحترفين . وكل انسان يشتهى المجد أو التمجيد من الطريق الذى يراه أوفق له ويرى نفسه أقدر على انتهاجه ولا فرق من هذه الناحية بين الأدب وبين رفع الأثقال والحرب والموسيقى والسياسة وغير ذلك ، فأنها جميعاً وسائل يستعين بها الانسان على ما يريد من الفوز بالتمجيد الذى تصبو إليه نفسه .

وقد وجدت وأنا أنقب وأحتفر حجارة كثيرة تفتتت من صخرة الخلود الضخمة زحزحتها وأخرجتها ورميتها مثل للنبوغ والعبقرية وما أشبه ذلك فألقيتها جميعاً ، فشعرت بالراحة وأحسست أن ما كان يعبد متنفسات روحى قد زال والحمد لله على التوفيق ؛ ورأيتنى قد رجعت إنساناً بعد أن كنت دفتراً أو كتاباً كالكتب التى عندى ، وكل ما كان ينقصنى هو أن أجد من يغلفنى أو يجلدنى ليتسنى أن أوضع على رف كبقية الكتب وعلى ظهرى كما على ظهورها « كشكول المازنى » . والواقع أنى لم أكن إلا كشكولاً فيه خليط مضطرب غير متسق من الآراء المستمدة أو المولدة من هنا وهنا فصرت بعد التنقية الدقيقة التى أجريتها فى نفسى إنساناً يشعر بالحياة التى وهبها ويلتذها وينعم بها ويحرص عليها كما ينبغى أن يفعل ويوفر لها الأسباب التى تعين على زيادة الامتاع المستفاد منها .

وكنت كالذى وقف وفى يديه ما يشبه المنظار فاذا رفعه إلى عينيه لم ير إلا الصورة المطبوعة أو المنقوشة على زجاجة وهو يحسب أنه يكبر له الأشياء ويجسم له المناظر . أما بعد التنقية فقد رميت هذا الذى كنت أحسبه منظاراً مكبراً ونظرت بعينى لا بعيون الغير فبدت لى الدنيا بما فيها من جمال وقبح ومن خير وشر ومن عرف ونكر ، وأنا الآن أخوض العباب وأغالب التيار وأصارع الموج ، وأطفو تارة وأرسب أخرى ، ولا أعدم ما أتعلق به فانجو وأستريح وأستجم إذا أدركنى التعب لا كما كنت — واقفاً على الساحل أصف ما لم أجرب وأتحدث عما لم أختبر تقليداً لأحساس غيرى ومجاراة لنظراته وأنا لا أدرى أنى لست سوى مقلد وإن كنت أزعمنى مبتكراً

وخطرت لى حكاية ، فقد أن صانعاً بارعاً منقطع النظير خاف المعجبون بحذقه وأستاذ يدركه الأجل فيموت صنعه فنه ويلف عليه وعلى براعته كفاحد ، فتقدموا إليه يرجون منه أن يتخذ له تلاميذ يعلمهم فأبى فألحوا فلم يلن ، فشكوه إلى الحاكم فأمره أن يفعل فلم يطع جنبه ، ولبث فى السجن أياماً ، فتشاور محبوه وإخوانه فى الأمر فقال أحدهم « أنا أحل لكم هذا المشكل » ودعا اليه واحداً من أتباعه وقال له إنا سنحبسك مع هذا الصانع فى حجرة واحدة فكن معه الرفيق المخالف ، فاذا ضحك فاعبس أنت ، واذا رأيته يعبس فاضحك أنت وقهقه ، وهكذا فى كل شىء . « ففعل الرجل كما أمره فكاد الصانع يجن وطلب أن يأخذوه إلى الحاكم ، فلما صار عنده قال له إنه مستعد أن يعلم ألف تلميذ ولا يبقى ساعة واحدة مع هذا الرفيق المخالف فى غرفة واحدة

بمثل هذا يجب — فى رأيى — أن يعالج الذين يصرون على الحكم لنفسهم بالخلود قبل أن تحكم لهم الأيام فما أعرف طريقة أجدى وأكفل بشفائهم من طريقة الرفيق المخالف

ابراهيم عبد القادر المازنى

فرصة أدبية للحياة شهر فقط

كتب بقلم محمد عبد الله عنان

مصر الاسلامية

ثمنه ١٥ قرشاً ويباع بخصم ٣٣٪ أى بـ ١٠ قروش

قصص اجتماعية

ثمنه ١٠ قروش ويباع بخصم ٤٠٪ أى بـ ٦ قروش

ابن خلدون حياته وتراثه

ثمنه ٨ قروش (مجلداً بالكرتون)

وثمن الثلاثة كتب معاً ٢٠ قرشاً أى بخصم ٤٠ ٪

عدا البريد ، وهو قرشان عن كل كتاب داخل القطر وأربعة خارج القطر وللثلاثة كتب ٥ قروش فى الداخل وعشرة فى الخارج ويطلب من مجلة (الرسالة) ولجنة التأليف والترجمة بشارع الكردامى ومكتبة النهضة بشارع الدابغ وباقى المكاتب الشهيرة وطلبات الجملة من المؤلف تليفون ٤٤٦٨٣

نظرية النبوة عند الفارابى

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور

مدرس الفلسفة بكلية الآداب

— ٣ —

أسلفنا القول عن إحدى الشخصيتين اللتين أثارتا مشكلة النبوة أثناء القرن الثالث والرابع للهجرة فى شكل حاد ، ونعنى بها ابن الراوندى . واليوم نريد أن نتحدث عن الشخصية الأخرى التى ليست أقل من الأولى خطراً فى هذا المضمار والتى ربما كانت أعرف لدى جمهور القراء : وهى شخصية أبى بكر محمد بن زكريا الرازى الذى ولد سنة ٢٥٠ هجرية بالرى حيث تعلم الرياضيات والفلك والأدب والكيمياء . ويظهر أنه لم يتقدم للدراسات الطبية إلا بعد أن بلغ سناً خاصة ، ولكنه لم يلبث أن برّز فيها على جميع معاصريه وأحرز شهرة كبيرة . فصار يتنقل من بلاط إلى بلاط ، ومن مدينة إلى مدينة ، يشرف على مستشفاها ويأخذ بيد العلاج والطب فيها . وكان فى كل هذا يحنّ إلى الرى ويعود إليها من حين لآخر إلى أن توفى بها فى العقد الثانى من القرن الرابع[1] . وليس هناك شك فى أن الرازى هو أكبر طبيب فى الاسلام ، بل وفى القرون الوسطى على الاطلاق . فقد أحاط بكل النظريات الطبية القديمة وأدخل عليها عناصر جديدة هدته اليها تجاربه الكثيرة ، ومنح الكيمياء كذلك قسطاً كبيراً من عنايته ، ودرسها دراسة واقعية تجريبية قضت على كثير من الخرافات والأباطيل التى لصقت بها فى ذلك العهد . ولم يكن الرازى طبيباً وكيميائياً فحسب ، بل اتجه نحو الفلسفة وكتب فيها عدة أبحاث . ولقد كان حريصاً كل الحرص على أن يلقب بالفيلسوف ؛ ولذلك لما أحس أن بعض معاصريه ينكرون عليه هذا اللقب سارع إلى الرد عليهم ، وبين فى رسالة خاصة مميزات الفيلسوف العلمية والعملية محاولاً أن يطبقها على نفسه[2] . وهو فى طبه وفلسفته واثق من نفسه كل الوثوق وإلى درجة لا تكاد تجدها لدى أى شخص من مفكرى الاسلام . فهو ينتقد جالينوس فى بعض آرائه ، ولا يتردد فى أن يرفض فريقاً من النظريات الأرسطية ، ويضع نفسه فى مصف أبقراط وسقراط من الأطباء والفلاسفة السابقين[1] . وفوق هذا فهو لا يسلم بتلك الجملة المشهورة : « متأخر الأول للآخر شيئاً » ويعتقد على العكس منها أن السابقين تركوا للاحقين أشياء كثيرة . وقد استدرك هو نفسه على القدامى جزءاً من نقصهم وأصلح بعض أخطائهم . ولا نظنه ينكر علينا إذا حاولنا اليوم أن نثبت ما فى آرائه من ضعف أو خطأ ، وما أشبهه فى هذا بيكون بين الطبيعيين والفلاسفة المحدثين . وليس بغريب أن يقف هذا الموقف أشخاص ينادون بالتجربة ويؤمنون بنظرية التقدم العلمى المستمر . فالرازى إذن مجدد وذو آراء مستقلة يجدر بنا أن نعرفها بصرف النظر عن خطئها أو صوابها ، شذوذها أو اعتدالها

لم تستبق لنا الأيام ، ويا للأسف ، كثيراً من مؤلفات الرازى الطبية والكيميائية والفلسفية ، إلا أنا ربما كنا أعرف بطبه وكيميائه منا بفلسفته . والسبب فى ذلك أن الباحثين من المحدثين عنوا بالرازى الطبيب والكيميائى أكثر من عنايتهم بالرازى الفيلسوف . ونحن لا ننكر أن جانبه العلمى أوضح وأقوى من جانبه الفلسفى ، وأن ما وصل إلينا من كتبه الطبية والكيميائية يزيد نسبياً على مخلفاته الفلسفية . بيد أن فى فلسفته جرأة وغرابة تدفع الباحث إلى دراستها وتفهمها . وإذا كانت شذوذها وخروجها على المألوف هما من دواعى الاعراض عنها والتنفير منها فأنهما فى الوقت نفسه من وسائل الترغيب فيها والتشويق إليها . ونعتقد أنا نستطيع الآن أن نكوّن عنها فكرة كاملة على ضوء ما نقله أبو حاتم الرازى والبيرونى والكرمانى ونصيرى خسرو ، وبعض الرسائل القليلة التى وصلت إلينا والتى كتبها الرازى نفسه

لئن كان الرازى قد اشتغل بالفلسفة فانه يفترق عن فلاسفة الاسلام المعروفين فى نواح كثيرة . فهو يهاجم أولاً أستاذهم وزعيمهم أرسطو ويخرج على كثير من نظرياته الطبيعية والميتافيزيقية[2] .

(١) لا يعرف بالدقة تاريخ وفاته ، فمن قائل إنه سنة ٣١١ وآخر سنة ٣٢٠ ؛ ولعل أرجح الروايات ما ذهب إليه البيرونى من أنه فى الخامس من شعبان سنة ٣١٣

(٢) الرازى ، السيرة الفلسفية ، نشره السيوكراوس فى Orientalio 1935, p p. 318—320.

(١) البيرونى ، رسالة فى فهرست كتب محمد بن زكرياء ، ص ١٣ . أبو حاتم الرازى ؛ أعلام النبوة (in orientalio, 1936) ص ٤٢

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣٦ من المخطوطة

ويبالغ ثانياً على العكس منهم فى التعلق بأهداب الآراء الزدكية والمانوية والمعتقدات الهندية[١] . وينكر أخيراً كل الأنكار محاولتهم التوفيق بين الفلسفة والدين . ويرى أن الفلسفة هى السبيل الوحيد لاصلاح الفرد والمجتمع ، وأن الأديان مدعاة التنافس والتطاحن والحروب التتالية . وقد كتب كتابين عدهما البيرونى بين الكفريات ، وهما : مخاريق الأنبياء أو حيل المتنبئين ، و نقض الأديان أو فى النبوات[٢] . وقد صادف الكتاب الأول نجاحاً لدى بعض الطوائف التى انتشرت فيها الزندقة والألحاد وخاصة لدى القرامطة[٣] . ويذهب الأستاذ ماسنيون إلى أن أثره تعدى إلى الغرب وكان منبع تلك الاعتراضات التى وجهها عقليو أوربا إلى الدين والنبوة فى عهد فردريك الثانى[٤] . وحتى اليوم لم يوقف له على أثر بين المطبوعات والمخطوطات العربيـة . وأما الكتاب الثانى فقد وصلنا منه فقرات عن طريق غير مباشر فى كتاب أعلام النبوة لأبى حاتم الرازى المتوفى سنة ٣٣٠ هجرية . وأبو حاتم هذا من أكبر دعاة الاسماعيلية الذين أبلوا بلاء حسناً فى طبرستان وأذربيجان فى أوائل القرن الرابع للهجرة . وقد كان معاصراً ومواطناً للرازى الطبيب ، ودارت بينهما مناقشات حادة ومتعددة حضرها بعض العلماء والرؤساء السياسيين

وقد شاء أبو حاتم أن يدوّن هذه المناقشات فى كتابه أعلام النبوة . حقاً إنه لا يصرح فى هذا الكتاب باسم الرازى ويكتفى بأن يوجه نقده إلى من سماه الملحد ؛ غير أن هناك أدلة قاطعة على أن هذا الملحد ليس شخصاً آخر سوى الرازى . فان حميـد الدين الكرمانى المتوفى سنة ٤١٢ هـ وزعيم الدعاة الاسماعيليين فى عصر الحاكم بأمر الله يصرح فى كتابه الأقوال الذهبية بأن مناقشات فى النبوة والمناسك الشرعيـة دارت بين الرازى والشيخ أبى حاتم بجزيرة الرى أيام مَرْدَاويج وفى حضرته[٥] . والكرمانى حجة فى هذا الباب فانه أعرف ما يكون بأخبار الاسماعيليين زملائه ومواقف الرازى وآرائه التى أخذ على عاتقه أن ينقض بعضها فى كتابه الآنف الذكر . ومما يؤسف له أن مخطوطة أعلام النبوة الوحيدة ، التى وصلت إلينا ، بدون مقدمة ؛ ويغلب على الظن أن هذه المقدمة المفقودة كانت تشتمل على غرض الكتاب والدافع إلى تأليفه[١] . فكتاب أعلام النبوة يقفنا على الاعتراضات الرئيسـية التى وجهها الرازى إلى النبوة وأثرها الاجتماعى ؛ وعليه نعتمد هنا أولاً وبالذات

وهذه الاعتراضات فى جملتها تقترب بعض الشىء من الاعتراضات التى أثارها ابن الراوندى من قبل . وكأن الرجلين يرددان نغمة واحدة ويصدران عن أصل معين ، أو كأن تعاليم هندية وآراء مانوية اختفت وراء حملتهما . ونحن نعلم من جهة أخرى أن الرازى يقول بالتناسخ الذى عرفت به السُّمنية من الهنود ، ويتشيع للمانوية الذين كانوا يدسون فى غير ملل للاسلام ومبادئه ؛ ولا يبعد أن يكون قد وقف على نقد الاغريق للديانات على اختلافها . وسواء أكان الرازى متأثراً بعوامل أجنبية أم معبراً عن آرائه الشخصية فانه يصرح بأن الأنبيـاء لا حق لهم فى أن يَدَّعوا لأنفسهم ميزة خاصة ، عقليـة كانت أو روحية ، فان الناس كلهم سواسـية ، وعدل الله وحكمته تقضى بألا يمتاز واحـد على الآخر . أما المعجزات النبوية فهى ضرب من الأقاصيص الدينيـة أو اللباقة والمهارة التى يراد بها التغرير والتضليل . والتعاليم الدينية متناقضة يهدم بعضها بعضا ولا تتفق مع المبدأ القائل إن هناك حقيقة ثابتة ؛ ذلك لأن كل نبى يلغى رسالة سابقه وينادى بأن ماجاء به هو الحق ولا حق سواه ؛ والناس فى حـيرة فى أمر الأمام والمـأموم والتابع والمتبوع . والأديان فى جملتها هى أصل الحروب التى وقعت فيها الانسانيـة من قديم ، وعدو الفلسفة والعلم . وربما كانت مؤلفات القدامى أمثال أبقراط وأقليدس وأفلاطون وأرسطو أنفع من الكتب المقدسة[٢] . يقول الرازى : «الأولى بحكمة الحكيم ورحمة الرحيم أن يلهم عباده أجمعين معرفة منافعهم ومضارهم فى عاجلهم وآجلهم ولا يُفضّل بعضهم على بعض ، فلا يكون بينهم تنازع ولا اختلاف فيهلكوا. وذلك أحوط لهم من أن يجعل بعضهم أئمة

(١) البيرونى ، رسالة ، ص ٣ — ٤

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠

(٣) البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٤١

(٤) Massignon, R. H. R., 1920. — cf. Encyc. de l'Islam Rāz.

(٥) الكرمانى ، الأقوال الذهبية ، ص ٤ من مخطوطة فى مجموعة الحمدانى

(١) هذه المخطوطة من مجموعة الحمدانى أيضاً ، وقد بدأ المستشرق كراوس الذى وقفنا عليها منذ زمن بنشر أجزاء منها فى Orientalia ، ونرجو أن يتابع نشره كى تتجلى هذه النواحى الغامضة

(٢) P. Kraus et Pines, Encyc. de l'Islam, Fasc. 54, 1936.

لبعض فتصدّق كل فرقة أمامها وتكذب غيره ، ويضرب بعضهم بالسيف ويعمّ البلاء ويهلكوا بالتعادى والمجاذبات ، وقد هلك بذلك كثير من الناس كما نرى [1] »

نظننا فى غنى عن أن نشير الى أن أقوال الرازى هذه تمثل أعنف حملة وجهت الى الدين والنبوة طوال القرون الوسطى . بيد أن الشيخ أبا حاتم استطاع أن يقابل هذه الحملة وجهاً لوجه ويخذلها ، وأن يهدم هذه الفتنة من أساسها . وفى كتابه أعلام النبوة صفحات تفيض الحاماً واعجازاً ، وصاقشات تسد على المكابرين والمعاندين سبل التخلص والفرار . وحبذا لو نشر هذا الكتاب فى جملته فضم آية الى آيات الاسماعيلية الكثيرة وأثراً الى آثارهم العلمية النفيسة . وأبو حاتم ممن أحسنوا الجدل والمناقشة والأخذ والرد . وكيف لا وهو داع مهمته أن ينتصر لدعوته ، ويردّ عنها شبه الخصوم والمعارضين ؟ فهو لا يرد على الرازى بقضايا مسلمة وأدلة مشهورة ، وإنما يحمله على أن يرفض نفسه بنفسه ، ويبين له أن أقواله وآراءه متهافتة ومتناقضة [2] وهو فوق هذا لا يتكلم باسم الاسماعيلية وحدهم ، بل باسم الاسلام والعقل والانسانية جماء . ذلك لأن مشكلة النبوة لا تتصل بفرقة دون فرقة ، ولا تعنى طائفة منفردة من طوائف الاسلام . وقارىء كتاب أعلام النبوة لا يشعر مطلقا أنه يحمل شارة خاصة على عكس كتب الفرق المختلفة . وهنا نقطة نحب أن نلفت النظر اليها ، وهى أن حملة الرازى وابن الراوندى من قبله على الأديان والنبوات أثارت الأوساط الاسلامية على اختلافها ، وحفزتها الى الدفاع عن معتقداتها . فأبو على الجبائى [3] الكبير (المتوفى سنة ٣٠٣ هـ) وابنه أبو هاشم [4] (المتوفى سنة ٣٢٤ هـ .) المعتزليان ، وأبو الحسن الأشعرى [5] (المتوفى سنة ٣٢٤ هـ .) زعيم أهل السنة رأوا من واجبهم أن يردوا على ابن الراوندى ؛ ومحمد بن الهيثم [6] الفلكى والرياضى (المتوفى سنة ٤٣٠ هـ) أخذ على عاتقه أن ينقض رأى الرازى فى الالهيات والنبوات .

(١) أبو حاتم ، أعلام النبوة (in Orientalio) ص ٣٨

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٢

(٣) ابن الجوزى ، فرق الشيعة ، ص XX

(٤) M. Horten, Die philos. Sys., p : 364.

(٥) Spitta, Zur Gesch. Abu,l Hasan al - as'ari, p. 63.

(٦) Kraus, Riviata, 1934, p. 363.

إلا أن الاسماعيلية بوجه خاص قد بذلوا فى هذا المضمار همة عالية ومجهوداً صادقا ؛ ومعظم الردود على منكرى النبوة إنما وصلتنا عن طريقهم . وليس هذا بغريب ، فأن الاسماعيلية فى تعاليمها الدينية ومبادئها السياسية تقوم على النبوة وتعتمد عليها

فى هذا الجو المملوء بالحوار والمناقشة فى موضوع النبوة الخطير نشأ الفارابى ، وكان لا بد له أن يقاسم فى هذه المعركة بنصيب . لاسيما وهو معاصر لابن الراوندى والرازى معا ؛ فقد ولد سنة ٢٥٩ هجرية وتوفى سنة ٣٣٩ . ويروى المؤرخون أنه كتب ردين ، أحدهما على ابن الراوندى والآخر على الرازى ؛ ونأسف جد الأسف لأن هذين الردين لم يصلا الينا [1] . وقد نستطيع أن نتكهن بموضوعهما على ضوء الملاحظات السابقة . فانه لا يتوقع أن يرد الفارابى المنطقى الفيلسوف على ابن الراوندى إلا فى شىء يتصل بالمنطق والجدل اللذين أخل الأخير بقواعدهما ، أو فى مبدأ من مبادئ الفلسفة والالهيات التى خرج عليها [2]

ولا بد أن يكون الفارابى ، وهو الأرسطى المخلص والمعنى بالسياسة والاجتماع ، قد أخذ على الرازى كذلك أشياء كثيرة ، فى مقدمتها التهجم على أرسطو وإنكار مهمة الرسول السياسية والاجتماعية . على أن الفارابى لم يكتف بهذا الموقف السلبى وهذا الدفاع الذى إن ردّ عن النبوة بعض خصومها الحاضرين فهو لا يمنحها أسلحة تستعين بها على هجمات المستقبل . وعلى هذا أجهد نفسه فى أن يقيم النبوة على دعائم عقلية ويفسرها تفسيراً علمياً ، وبذا استطاع أن يبطل كلمة أنصار العقل الموهومين ، ويدحض دعوى المتفلسفين الذين يزعمون أن الدين لا يمكنه التآخى مع الفلسفة ، ولا القرب منها . ومن غريب المصادفات أن هذه الدعائم الجديدة ترجع إلى أصل أرسطى ؛ فكأن الفارابى قد تمكن فى نظرية النبوة أن يصوب إلى هدفين ويحظى بغايتين ، فأسس الأديان تأسيساً عقلياً فلسفياً وأبان للناس أن أرسطو الذى تهجم عليه الرازى وأنكره آخرون جدير بحظ كبير من الاجلال والتقدير

(يتبع) ابراهيم بيومى مدكور

(١) ابن أبى أصيبعة ، عيون ، ١١ ، ١٣٩ . — القفطى ، تاريخ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠

(٢) ينبغى أن نلاحظ أن ابن أصيبعة يصرح بأن الفارابى كتب كتاباً فى الرد على ابن الراوندى فى آداب الجدل ، والقفطى يعد هذا كتابين : أحدهما فى آداب الجدل والآخر فى الرد على ابن الراوندى

الحرب الأهلية الاسبانية

صراع بين الطغيان والحرية

خطر الفاشستية على السلم الأوربي

بقلم باحث دبلوماسي كبير

انتهت المأساة الاسبانية إلى موقف شديد الحرج ، فمنذ أسابيع تطوق القوات الثائرة مدريد ، وتشدد عليها الحصار والضغط ، وتصلى المدافعين عنها والسالمين من أهلها ناراً تحصد الأرواح بلا رأفة ؛ ومنذ أسابيع تضطرب الجمهورية الاسبانية في يد القدر ، وتبذل جهود المستميت للدفاع عن حياتها وكيانها ؛ وقد لاح مدى لحظة حينما زحف الجيش الثائر على مدريد ، وطوقها من معظم النواحي أن مدريد ستسقط تواً ، وأن الجمهورية الاسبانية قد تلفظ أنفاسها الأخيرة في أيام قلائل ؛ ولكن الجيش الثائر لقي مقاومة شديدة لم يكن يتوقعها ؛ وتدل الأنباء الأخيرة التي وردت ونحن نكتب هذه السطور أن القوى الجمهورية التي تدافع عن مدريد قد عادت إلى الهجوم ، واستردت بعض المواقع التي تشرف على العاصمة ، وأن الأمل قد يتجدد بانقاذ مدريد وإنقاذ الحكومة الجمهورية ؛ بيد أن مصاير الحرب قد تتغير فجأة ، وقد تسقط مدريد في يد الثوار قبل أن تطلع (الرسالة) على القارئ بهذا المقال

على أنه يجب أن نلاحظ أولاً أن سقوط مدريد لا يعني ختام الحرب الأهلية الاسبانية ؛ ولا يعتبر نصراً حاسماً للثورة العسكرية ؛ ذلك أن سقوط العاصمة قد قدر منذ بعيد وبحثت الحكومة الجمهورية كل ما يترتب عليه من الاحتمالات ؛ ولن يترتب عليه من الوجهة المادية سوى كسب الثوار لمدينة جديدة ، وإن كان يعتبر من الوجهة المعنوية فوزاً له قيمته ؛ وما زالت الجمهورية مسيطرة على شرق اسبانيا كله من قطلونية حتى مالقة ، وكذلك على قسم كبير من الأقاليم الوسطى والشمالية ؛ فاذا سقطت مدريد ؛ قامت الحكومة الجمهورية في برشلونة أو في قاعدة أخرى ، واستمر النضال مضطرماً بين الفريقين

ولكن هزيمة الثوار أمام مدريد قد تكون بالعكس موقعة الفصل في هذه الحرب البربرية المخربة ؛ ذلك أن قوى الثوار ومواردهم محدودة ، وقد دفعوا إلى المعارك الأخيرة بكل قواهم ومواردهم الاحتياطية . فاذا هزموا أمام العاصمة بعد أن لاح لهم أمل الظفر ، تفككت قواهم وخبت روحهم المعنوية ، وربما اضطروا إلى الانسحاب عن جزء كبير من الأقاليم التي يحتلونها ؛ وعندئذ تتطور مصاير الحرب في صالح الجمهورية

* * *

ولقد عالجنا موضوع الحرب الأهلية الاسبانية منذ نشوبها في أواخر يوليه الماضي ، وقلنا يومئذ والحوادث في بدايتها إن هذه الحرب الأهلية الداخلية ليست إلا طوراً من أطوار الصراع الأوربي العام بين الديمقراطية والفاشستية ، أو بعبارة أخرى بين النظم الحرة والطغيان العسكري ؛ وقد أيدت الحوادث رأينا وما زالت كل يوم تكشف لنا عن هذه الحقيقة بأدلة مادية لا شك فيها ؛ وإذا كان مما يدعو الى الأسف أن حكومة مدريد الشعبية قد اضطرت إزاء الظروف القاهرة أن تعتمد في نضالها على بعض العناصر غير المرغوب فيها من شيوعية وفوضوية ؛ فليس معنى ذلك أنها حكومة شيوعية كما تصورها لنا الدعاية الفاشستية ، بل هي في الواقع حكومة جمهورية شعبية من ورائها العمال والفلاحون والطبقات الوسطى أو بعبارة أخرى من ورائها الشعب الاسباني . أما الثورة التي يرفع لواءها الجنرال فرانكو وزملاؤه من القواد والضباط الخوارج فهي ثورة النظم الطاغية التي حطمتها الجمهورية في سنة ١٩٣١ ، ومن ورائها الملوكية الذاهبة والكنيسة وأحبارها وكبار الملاك وأصحاب الأموال ، والقواد والضباط الخوارج ، وهي العناصر التي كانت تتمتع بالنفوذ والسلطان في ظل الملكية الذاهبة ، وترهق الشعب الاسباني بطغيانها وامتيازاتها وجشعها ؛ فلما ظفر الشعب الاسباني بالقضاء على الملوكية في سنة ١٩٣١ لبث أنصارها من الأحبار والملاك يترقبون الفرص للانتقاض على النظام الذي قضى على نفوذهم ؛ وقامت الوزارة الجمهورية الأولى التي يرأسها السنيور أزانا ببعض الاصلاحات السياسية والاجتماعية كنزع ملكية بعض الضياع الكبيرة وتوزيعها على الفلاحين ، وفصل جماعة من الضباط

الذين يشك فى ولائهم ، والحد من سلطات الكنيسة وأحبارها ، فزادت هـذه الاجراءات فى غضب العناصر الرجعية ؛ وفرت رؤوس الأموال الكبيرة الى الخارج ، وزادت المطلة والبأساء وأخذت الجمهورية الجديدة تتخبط فى غمار من الصعاب السياسية والاقتصادية ؛ وجاءت بعد وزارة أزانا فى أواخر سنة ١٩٣٣ وزارة محافظة تألفت هـذه الاصلاحات ، ولكنها فشلت فى معالجة الأزمة الاقتصادية ؛ وأسفرت هـذه الأزمة غير بعيد عن قيام بعض الحركات الثورية الخطيرة ، ولا سيما فى منطقة الاستورياس وفى قطلونية حيث يشتد الاحتشاد الصناعى ؛ وعملت العناصر الرجعيـة على إذكاء الثورة ، ولكنها أخفقت وسحقت فى سيل من الدماء ؛ وقامت وزارة اشتراكية جديدة برآسة السنيور أزانا فى فبراير الماضى ، وعاد الفلاحون إلى المطالبة بنصيبهم من الأرض ، واستولوا على كثير من الضياع واضطرت الحكومة أمام الضغط العام أن تقر هـذه الحركة ، واشتدت فى محاسبة الكنيسة ونزع أملاكها وفى مطاردة أحبارها وتجريدهم من كل حول ونفوذ ؛ ولكنها لم تفعل شيئا لاصلاح الجيش وتطهيره من العناصر الناقمة ، مع أن الجيش كان مصدر الخطر على الجمهورية ، ولو فعلت لتغير سير الحوادث ؛ ورأت العناصر الرجعية أن تلتف حول العناصر الناقمة فى الجيش من قادة وضباط ، وأن يتحد الجميع على مقاومة هذه الحركة الخطيرة التى ستنتهى بالقضاء عليهم وعلى أملاكهم وامتيازاتهم ، وكانوا يضمون آمالهم فى الجيش والحرس المدنى ، ويعولون على إسقاط الجمهورية بثورة عسكرية محلية ، لأن الشعب لا يحبهم ولا يمكن أن يصغى اليهم ؛ ولكن الحكومة الجمهورية كانت على شىء من التحوط والحذر ، فاضطروا أن يولوا شطرهم إلى مراكش حيث تكثر العناصر الناقمة فى الجيش ، وحيث يستطيعون الاعتماد على الجند المغاربة ، وعلى المعاونة الخارجية

* * *

هكذا اجتمعت أسباب الثورة الاسبانيـة التى انفجرت فى ١٧ يوليه الماضى ، وتولى قيادتها الجنرال فرانكو حاكم جزر الكنارى ، وأحد زعماء الجيش الناقمين ؛ على أن هذه الثورة لم تنشأ مستقلة ، ولم تكن داخلية محضة ، فقد كانت تعتمد منذ الساعة الأولى على المعاونة الأجنبية ، ولم يك ثمة شك فى المصدر أو المصادر التى قدمت هـذه المعاونة ؛ فقد رأت الفاشستية الايطالية وهى عماد النظم العسكرية الطاغية فى أوربا الجنوبية لأسباب سياسية وعسكرية أن تشد أزر الجنرال فرانكو ، وأن تعاونه بكل الوسائل ؛ ورأت ألمانيا النازية من جانبها أن تشترك فى هذه المعاونة لأسباب وبواعث مشابهة ، ذلك أن قيام حكومة عسكرية رجعية فى مدريد تقوم على وسائل الطغيان والعنف التى تقوم عليها الفاشستية الايطاليـة والنازية الألمانية ، مما يقوى هـذه النظم من الوجهة المعنوية ، ومما يضعف جبهة الديموقراطية الأوربية التى تقف فى وجه الفاشستية والنازية ؛ وحصن الديموقراطية الأوربية انكلترا خصيمة إيطاليا منذ الحرب الحبشية ، وفرنسا خصيمة ألمانيا التاريخية ؛ وإيطاليا ترى فى قيام حكومة فاشستية فى أسبانيا تقع تحت نفوذها وتأثيرها وسيلة لتقوية نفوذها فى غرب البحر الأبيض وتهديد مركز إنكلترا فى هذه المياه ؛ ولذلك لم تدخر إيطاليا وألمانيا وسعاً فى إمداد الثورة الأسبانيـة بالسلاح والذخائر والرجال ؛ ولم يبق سراً أن أسطول الثوار الجوى كله يتكون من طيارات إيطالية وألمانية ، وأن ضباطه جميعاً من الايطاليين والألمانيين ؛ وأن إيطاليا قد اتخذت من جزيرة ميورقة مركزاً لامداد الثورة الأسبانية وتموينها ، وأن الامدادات الألمانية تصل إلى الثوار من الشمال ، ومن الغرب بواسطة البرتغال التى تعمل أيضاً فى معاونة الثورة وإمدادها تحقيقاً لأطماع ومصالح خاصة ؛ وقد ترددت فوق ذلك إشاعة قوية بأن هنالك اتفاقاً سرياً بين الثوار وبين إيطاليا وألمانيا والبرتغال ، يقضى بأن تأخذ إيطاليا جزر البليار ثمناً لمعاونتها ، وتأخذ ألمانيا جزر الكنارى ، وتأخذ البرتغال بعض الأراضى المجاورة لحدودها الشرقية ؛ وهو اتفاق لا يبعد صدوره من زعماء عسكريين يعملون بمال الأجنبى وسلاحه لسحق الحريات الشعبية فى بلادهم وإراقة دماء مواطنيهم على هذا النحو الذريع الذى تطالعنا به الأنباء كل يوم ؛ وهذا الاحتمال مما يثير اليوم فى فرنسا وانكلترا أشد الجزع ، لأن جزائر البليار على مقربة من المياه الفرنسية وهى واقعة فى طريق الجزائر ، ولأن حلول إيطاليا بها يعرض سيادة انكلترا فى غرب البحر الأبيض

ومواصلاتها الامبراطورية من طريق جبل طارق إلى أشد الأخطار

على أن تدخل الدول الفاشستية فى الحوادث الأسبانية على هذا النحو كان له رد فعل مماثل ؛ فقد رأت روسيا السوفيتية من جانبها أن تقاوم نفوذ الفاشستية فى أسبانيا بمعاونة الحكومة الجمهورية ، وقد قابلت المثل بارسال السلاح والذخائر والطائرات إلى حكومة مدريد ، وقد ظهر أثر هذه المعاونة أخيراً بثبات الجنود الجمهوريين وانقلابهم إلى الهجوم فى كثير من المواقع حول مدريد ؛ ولهذا التدخل الثنائى فى الحوادث الأسبانية قصة دولية مضحكة ، فقد اقترحت فرنسا فى بدء نشوب الحرب الأهلية الأسبانية على الدول أن تتبع إزاءها سياسة الحياد المطلق ، ووافقت على هذا الرأى انكلترا وألمانيا وإيطاليا وروسيا والبرتغال ، وأنشئت لجنة عدم التدخل لتراقب تنفيذ هذه السياسة المشتركة ولكن الدول الفاشستية كانت تعبث منذ الساعة الأولى بمبدأ الحياد ، وكانت روسيا تقابلها بالمثل ، وقد اشتركت فرنسا أيضاً فى معاونة حكومة مدريد ولكن بشكل مستتر ؛ فلما ظهر أن الدولة الفاشستية تتمادى فى معاونة الثورة ، رفعت روسيا القناع أيضاً وأنذرت أنها تستأنف كل حريتها فى العمل إذا لم تقم الدول الأخرى ، أعنى ألمانيا وإيطاليا ، بالكف عن مساعدة الثوار ؛ والآن تبدو مساعدة روسيا لحكومة مدريد بشكل واضح وتتقاطر السفن الروسية من البحر الأسود إلى مياه برشلونة وبلنسية واليقنت مشحونة بالذخائر والمؤن ، وقد يتطور الموقف إلى أشد من ذلك ، وقد يفضى هذا التدخل المزدوج غير بعيد إلى مصادمات وحوادث لا تؤمن عواقبها على السلام الأوربى

لقد غدت الفاشستية مصدر الخطر على سلام أوربا ، وكانت البلشفية قبل عامين مصدر هذا الخطر العام ، ولكن روسيا السوفيتية رأت فى النهاية أنها لا تستطيع أن تبقى فى عزلتها الخطرة خصوصاً بعد أن استعادت ألمانيا جيشها وتسليحاتها فى ظل الفاشستية الهتلرية ، فانضمت إلى جبهة الدول الغربية ، وعقدت مع فرنسا الميثاق الشهير الذى اتخذته ألمانيا ذريعة لنقض جميع تعهداتها العسكرية فى معاهدة الصلح ؛ وقد حل الخطر الفاشستى الآن فى تهديد سلام أوربا محل الخطر البلشفى ؛ وقوام هذا الخطر مطامع ألمانيا وإيطاليا العسكرية والاستعمارية ؛ وقد رأت روسيا أن قيام دولة فاشستية جديدة فى أسبانيا مما يقوى جبهة الدول الفاشستية ضدها ، فرأت أن تخوض المعركة فى أسبانيا ضد التدخل الفاشستى ، وأن تعاون حكومة مدريد ما استطاعت لأن فى فوزها فوزاً للجبهة الديموقراطية التى اندمجت فيها روسيا

فالمعركة التى تضطرم الآن فى أسبانيا هى معركة مبادئ تذكيها المصالح والمطامع السياسية والعسكرية ؛ وهى مظهر على لتلك المعركة العامة التى تضطرم فى أوربا بين الجبهتين الخصيمتين ؛ ومن الخطر على سلام أوربا وعلى حريات الأمم الضعيفة أن تنتصر هذه الثورة الفاشستية ؛ وربما كان انتصارها نذير حرب أوربية إذا لم تنجح أوربا فى حصر هذه الشعلة المضطرمة داخل أسبانيا ؛ بيد أن المعركة ستستمر حيناً آخر ، وقد تتغير مصاير الحرب بين آونة وأخرى ، فتحرز الجمهورية الأسبانية نصرها الحاسم ، وتتحطم مشاريع الدول الفاشستية ، وينجو السلام الأوربى مما يتهدده من الأخطار

(...)

لجنة التأليف والترجمة والنشر

صرح الإسلام

الجزء الثالث

للأستاذ

أحمد أمين

يبحث فى عقائد الفرق الدينية فى العصر العباسى الأول من معتزلة وشيعة ومرجئة وخوارج ، كما يبحث فى التاريخ السياسى لكل فرقة وفى أدبها

يقع فى نحو ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير وثمنه عشرون قرشاً عدا أجرة البريد . وسيظهر يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٩٣٦

ويطلب من لجنة التأليف ومن المكاتب الشهيرة

من النيل ... الى الرافدين

للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

حينما قيل لى فى وزارة المعارف : إنك ممن اختيروا لانتدابهم للتـدريس فى مدارس العراق ، أحسست أن واجبا يناديني ويطلب التلبية مهما كانت فجأة النقلة ووعثاء السفر ولوعة الفرقة للأهل والوطن . . . تحقيقاً للثقـة العراقية فى السمعة المصرية التى رفع الله ذكرها فى الشرق العربى الاسلامى ، ووفاء لناشئة العراق ببعض ما لأجدادهم على العقلية العربية العامة من دَين المجد والدين والعلم ... وإيغالا بالجسم فى صميم الشرق ... وملأً للنفس من روحه الذى أومن بسره وسحره . . وتوثيقا للعلائق بين البلدان العربية التى ما يبزغ فجر يوم جـديد إلا وفيه أمل مشرق بوحدتها التى يرسم القلم الأعلى حدودها ، وينسج الزمان بنودها ، ويصنع جنودها

* * *

وانطلق الجسم من حدود الأرض التى له فيها تاريخ وأطوار . . إلى الأرض التى للروح والعقل فيها أشواق وأوطار ! فقد عاشا فى ميراثها ، وقبسا من هداها للجنان واللسان ، واعتزا بفتوح أقلامها وسيوفها ، فهما منها على غير نُكْـر

واستدبرت السـفينة شاطىء الوطن الذى فى ترابه أبى ، وعلى ترابه أمى ، فأحسـت شعور الانفصال له وقدة على كبدى!

وسارت الفلك واحتواها الماء الذى قامت على عبريه بواكير الحضارات ، وذابت فى عبابه دولات ، فقرأناه ككلمة خالدة فى التاريخ ، وعبرناه كقطرة فى محيط الطبيعة

وأقبل الليل ونحن على موج نرى جهاد السـفينة فيه ، والتقاء الظلام به ، وإشراق النجوم عليه ، فاذا القلب خافق صريع بسحر هذه الأكوان الثـلاثة التى فى كل منها محراب لعبادة الجمال الأعلى

وتنفس الصبح على صفحة البحر فاذا لون من بهجة الحياة يشيع فى النفس فتود لو أن الفـلك والفُـلك وقفا فلا يريمـان ! ولاح حاجب الشمس من صوب فلسطين الثائرة ضد البطش والدس ، فاذا بالعيون تشخص والخيال يطوف فى بطون الوديان وقنن الجبال ، فلا يرى إلا ثائرا رابضاً وراء صخرة ، أو طائراً يقذف « بالبَيْـض » مصارعَ ، أو شِلوا فى فم ذئب ، أو عينا فى منقار طير ، أو طراداً عنيفاً بين قوة جبارة تعتمد على حذق الجديد من أساليب الحرب ، وبين مقاومة صلبة فدائية تعتمد على الحق وامداد الايمان ؛ فسألنا الشمس أم الحياة أن تشرق بالأمل على قلوب أبناء عمومتنا ، وأن تنضح مضاجع الشهداء بالشعاع المسكوب !

ثم أوفت بنا السفينة الى بيروت وقد مال ميزان النهار الى الغروب ، فلاحت « الحراء » فى سفح لبنان كغادة نائمة فى حضن جبار . فوذعنا البحر واستجممنا قليلاً ، ثم اجتزنا لبنان فى طريق كسير الأفعى فلم نر منه غـير جماله الناثم ، وعهدى به منذ ثلاث سنين فى صحوة النهار ، أرض الفتنة والسحر

لبنان والخلد اختـراع الله لم يوسم بأجل منهما ملكوته

ونزلنا دمشق عرش أميـة الفاتحة الماهدة لدولات العرب طريق الحضارة والاسـتقرار فى الوطن الكبير ، فما رأينا منها إلا كما يرى النظر الطائر من مدينة تتثاءب لهجعة الليل . وما هى إلا بقية من سواد قضيناها فى فندق أمية حتى غدونا مصبحين مسرعين الى سيارات الصحراء . . وهكذا خرجنا من الفيحاء من غير أن نرى أفراحها ومباهجها لاسترداد حريتها واستقبال وفدها ، ومن غـير أن نحج الى مناسك جهادها وأعلام تاريخها

* * *

فلما جاوزنا أرباض المدينة ، وابتدأت صفرة الصحراء تطغى على خضرة الزرع ، أخذت أجمع نفسى وأرهف حسى لأستقبل المجهول الذى طالما تاقت الروح إلى اختراق غيوبه وهتك حجابه حتى ترى ما فيه من صور الصمت والهول والوحشة ، ونستلهم سماءه بعض المعانى التى فتقت ألسنة آبائنا بهذه الألفاظ البدوية الواعية لما أتت به الحضارات والمترجمة عن خلجات النفس ودقائق الأحاسيس

وهنا ابتدأ شعور مفاجىء لا تاريخ له فى قلبى ، فحملق البصر وتفرس فى ذلك الرحب ليرى ظلال الأجناد والأحداث التى قلب بها القـدر أوضاع الأرض بأيدى محمد وأبى بكر وعمر ، وطغيان الموجات العربية فى فترات التاريخ ، وولادة الجزيرة ،

واحتضان العراق والشام ومصر لما تلد ؛ ثم انحسرت هذه النظرة الأولى وارتدت تستنشد اللسان قول لبيد :

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الديار بعدنا والمصانع !

* * *

ثم احتدمت الهاجرة ، والتهب الهواء ، والتمع السراب ، وبرزت الصحراء الحمراء عارية تحت عين الشمس ، ونحن فيها « كركب من الجن في زي ناس » فوق مركب « يملأ الآفاق صوتاً وصدى » فتصطف له أرواح الصحراء ترى ، في عجب ، سحر الحياة الجديدة !

وفي خطفة من خطفات الروح تلفت القلب صوب الجنوب فرأى المدينتين الغريقتين في أمواج الرمال تتحديان بصمتهما وعزلتهما ضجة الدنيا بالشهوات ، وسمارها بالآفات ، فحييتهما تحية القدوم على أقرب الحدود لها ، وأخذت الطمأنينة والسلام لنفسي منهما . . .

وفي مغرب الشمس وافينا « الرطبة » أول محطة عراقية ، فكان أول صوت رن في آذاننا صوت الحاكي يغني أغاني من « دموع الحب » في مقهى هناك وقد التف حوله السُّمّار في إنصات وطرب . فقلنا ها هي ذي مصر تسبقنا إلى العراق ، فلا وحشة ولا اغتراب . ثم وجدنا من البشاشة لنا والأنس بنا ما أنسانا أننا في صحراء تبعد عن مصر بأربعين ساعة بالوسائل السريعة !

وما غشي الليل وحبك الظلام حتى واصلنا السير فكنا في الصحراء كسر في ضمير حليم ! وجعلنا نسرح الطرف من خلال زجاج السيارة وقد غشيه الغبار فلا نرى غير نجوم وهنانة سأمانة من طول الوقوف على هذا الديموم

وجاءت سكرة النوم فهمدت الأجساد ونام كل «على نفسه» في مجلسه ، واستراحت المقل من التصويب والتصعيد في الأفق البعيد ، وهكذا نمنا على دوي الرحى . . . ولم يوقظنا إلا وقوفها في « الرمادي » في الهزيع الأخير ... فألممنا بها للتأشير على جوازات السفر . . . ثم وصل ما انقطع . . . اطراد السير والنوم حتى نرد بغداد مع الصباح . .

* * *

« هذه هي بغداد أيها الركب ؟ » هكذا قال الصبح الوليد . . . فسحت جفوني ، وجعلت أتلفت من شمالي ويميني لأرى مدخل دار السلام . . . المدينة التي احتضنت تاج مكة ويثرب ودمشق وأثينا وروما والمدائن والاسكندرية ، وزاوجت بين ألوانه ، ومزجت ثقافاته حتى رأت الدنيا من تفاعلها عالما جديداً غريباً . . . !

المدينة التي اضطلعت بالوصاية على ميراث الدين والعلم في زمن الجهل فربا في أيدي بنيها الممثلين لأجناس الناس وأديانهم وألوانهم ، فجمعوا خلاصة ما في الانسانية من تسامح وتلاق على المعنى الموحد والرأي المجتمع

المدينة التي كان الحج اليها واجبا على من كان يريد أن يتملى من دنيا القرون الوسطى في عظمة ملوكها وبطولة قوادها وفحولة علمائها وبلاغة صناع الكلام بها وضجة سوامرها بالأنشاد ، ورنين الكؤوس ، وضحك المجان ، وعزف القيان . . .

ومهما يكن من عبث الزمان بها وتقلب الأحداث عليها ، وتبدل المشاهد فيها ، فان أطياف الماضي لا تزال تخايل أمام العيون التي تعرفت اليها في دنيا الكتب وصحائف الآثار . والذين يجدون في أنفسهم قدرة على ذكرى الأضواء والألوان لا يستطيعون أن يمروا على تراب كتراب بغداد ، وقد ضم بين معادنه أشعة سقطت من أمجاد تاريخهم وعرش دينهم وعلمهم . . دون أن يتفرسوا بين طياته ، ونحن قلوبهم الى الالتصاق بذراته !

* * *

وبعد . فان ما رأيناه من حفاوة إخواننا العراقيين حكومة وشعبا بنا ، وتقديرهم الجميل لجهود المصريين في المعاونة على تنفيذ سياسة الانشاء والتعمير ، وثقتهم فيهم حتى لقد أسلموا إليهم أعز شيء في الدولة وهو نفوس الناشئين ، ووقوفهم على الدقيق والجليل من شؤون مصر . . وامتلاء دورهم ونواديهم بأغاني مصر في المذياع والحاكي . . . كل أولئك مما يجعل الأمل يوشك أن يكون يقيناً بأن الشرق العربي قادم على عهد من وحدة المنزع ومجابهة الحياة في صفوف يجمعها نظام موحد وإن اختلفت أوضاعها في الميدان العام

وإنه ليسرني الى ما يقارب الفخر . . . أن تكون مهمتي في مصر والعراق من أمس المهمات باعداد العقلية العامة في الناشئين لهذه الحال الموموقة والتوسيد لها . . وأنعم بها من رسالة للعلم !

(كرت الصغيرة) عبد المنعم محمد خلوف

في الأدب المقارن

أثر الفنـــون
في الأدبين العربي والانجليزي
للأستاذ فخري أبو السعود

تختلف الفنون في مجالاتها وبعض وسائلها : فللشعر من القدرة على وصف الحركة وتناول الأشياء المتباعدة في الزمان والمكان ما ليس للتصوير ، ولهذا من المقدرة على بيان دقائق الموصوف وتحديد ماهيته ما يعوز الشعر ؛ ولكن الفنون تتفق جميعاً في غايتها التي هي التعبير عن تأثر الانسان بروائع الحياة وشغفه بجمالها ، وفي كثير من وسائلها التي تتصل بطبائع الانسان وميوله : كالتناسب والتماثل والتكرار في الشكل أو في النغمة أو في الروي ، والتقابل والتضاد في كل أولئك

فالفنون على تعددها مظاهر شتى لصفة إنسانية واحدة ، هي تَرَهُّفُ الشعور وحب الجمال . ولا يخلو المبرِّز في أحد الفنون من بَصَرٍ بسائرها وإن قل ، وحب لها يعلو على حب الفرد العادي . وكثيراً ما جمع الفنان الموهوب بين فنون عديدة يبرع فيها جميعاً ؛ وقد نبتت الموسيقى والشعر والرقص بين الجماعات الأولية من أصل واحد ونَمَتْ حتى استقل كل منها . وكان الشعر في بدئه موسيقى عجماء وصيحات غنائية غير ذات معنى ، ثم داخلها المعنى تافهاً في أول أمره ، وما زال يتعاظم شأنه حتى احتل المكانة الأولى في الشعر ، وإن لم تفقد الموسيقى أهميتها في رصانة القصيد ، فأي شعر خلا منها قصر عن أوج الكمال مهما سما معناه

وقد مارس العرب والانجليز تلك الفنون الثلاثة : الموسيقى والرقص والشعر ، منذ عهودهم الأولى ، وارتقت موسيقاهم بمخالطة الأمم الأخرى : فأخذ العرب عن الفرس ، والانجليز عن الايطاليين خاصة والفرنسيين ما لم يكونوا يعرفون من أصوات الموسيقى وآلاتها ومصطلحاتها وبان أثر ذلك في أدبهم . وأبدع أمثلة لشعر الغناء والرقص في الانجليزية قصائد ملتون التي نظمها قبل انغماره في حركة المطهرين . وممن تغنى من شعراء الانجليزية بتأثير الموسيقى والغناء دريدن في قصيدته « مأدبة الاسكندر » ، وكولنز في قصيدته « العواطف »

وبذلك تغنى أيضاً شعراء العربية ، بل بلغ انكبابهم على غشيان مجالس الغناء والرقص حداً بعيداً ، بعد أن انتشر الترف عقب الفتوح ، حتى كاد شعر كثير منهم ، كبشار وأبي نواس ، ينقسم إلى بابين رئيسيين : المدح الذي يُطلب من ورائه المال الوفير ، والتغني بمجالس اللهو والطرب التي يُنفق فيها ذلك المال . ومن جيد ما قيل في وصف المغنيات وآلات الموسيقى قول ابن الرومي :

وقيان كأنها أمهات ... عاطفات على بنيها حوان
كل طفل يدعى بأسماء شتى ... بين عود ومزهر وكران
أمه دهرها تترجم عنه ... وهو بادي الغنى عن الترجمان
ذات صوت تهزه كيف شاءت ... مثلما هزت الصبا غصن بان

وقوله في راقصة :

إذا هي قامت في الشفوف أضاءها
سناها فشفَّتْ عن سبيكة سابكِ

وارتقى بين الأمتين حين تحضرتا فن العمارة ، وقامت في بلادهما بيوت الملك والعبادة ، والحصون والمعاقل ، وتأثر فن العمارة في كلتيهما تأثراً كبيراً بالطراز القوطي ، واسترعت الأبناء تلك المباني الضخمة والحصون المشيدة ، تروع الناظر فخامتها ، ويعجب اللب من مغالبتها كر السنين ومصاحبتها جيلا من الناس بعد جيل ؛ وشغل شعراء العربية خاصة بوصف قصور الملوك ، وما حَوَتْ من ضروب الزخرف . ولفتت أذهانَ شعراء الانجليزية وكتَّابها القصور والبروج المتخلفة من عصور الاقطاع تلك التي تجيش بذكريات الماضي والتي شهدت مصارعات الأمراء ومحنهم في غيابتها . وكانت لكثير من الأدباء مواقف بالكنائس والكتدرائيات ، ولا سيما وستمنستر أبي التي تمج رحابها بآثار الماضي

ووصلت يد كل من الأمتين إلى تراث اليونان ، فاختلف موقفاها : فأما الانجليز فلم يتركوا شاردة ولا واردة من آثار

ثقافة اليونان وفنونهم إلا تزودوا منها ، فأحدث اطلاعهم على روايات سوفوكليس وأوربيدس انقلاباً فى « رواية المعجزات » التى ترعرعت فى الكنيسة فى العصور الوسطى ، فالتفتت إلى تصوير طبائع النفس الانسانية ، أى صارت فناً ؛ وأخذ الانجليز عن اليونان وتلامذتهم الطليان النحت والتصوير . وكانت بلاد اليونان وإيطاليا وما تزالان محج رجال الفنون الانجليز من شعراء ومصورين ونحاتين وموسيقيين ، وكانت صورهم وتماثيلهم وماتزال وحياً ونماذج لفنانى الانجليز ؛ وأنجبت إنجلترا عدداً عديداً من نوابغ المصورين والمثالين جارَوْا أساتذتهم من أهل القارة فى مجالات النحت والتصوير ، كما جاروهم فى مضمار الأدب

وظهرت آثار تلك الفنون فى الأدب الانجليزى : فالتمثيل صار باباً من أبواب الأدب له خطره ، وتوفر عليه أكثر نوابغ العصر الاليزابثى وكثير ممن تلاهم . والصور والتماثيل التى أبدعها رجال الفن الانجليز أمثال رينولدز وكنستبل وترنر ، والأجانب أمثال رافائيل ودورر وفانديك ، وسير أولئك النوابغ ، صار كل ذلك مجالاً لتأمل الشعراء والكتاب ، ومهبطاً لآثار أخرى فى عالم الأدب لا تقل مكانة عن تلك الآثار فى عالم النحت والتصوير ؛ وصرف بعض الأدباء همهم إلى نقد أعمال المصورين والنحاتين والممثلين ، ومن أولئك هازلت ورسكن ، وإلى الأخير يرجع الفضل فى إظهار المصور ترنر

وقد قضى كيتس وشلى وبيرون وبروننج وهاردى ودحاً طويلاً أو قصيراً من أعمارهم فى إيطاليا ، حيث استطابوا مناظر الطبيعة وتفيأوا ظلال آثار الرومان واستلهموا بدائع المصورين والمثالين الطليان ، بين رومة وفلورنسة والبندقية ، وقضى الشاعران الأولان نحبيهما هناك ، ودفنا فى أرباض تلك المعاهد التى ألفاها حيَّيْن . وبين أطلال رومة نبتت فكرة عمل من أكبر أعمال النثر الفنى فى الانجليزية ، ألا وهو تاريخ جيبون عن انحطاط الدولة الرومانية وسقوطها ، فهو يحدثنا فى مذكراته أن الرغبة فى وضع مؤلَّفه عنَّت له أثناء تجواله هناك بين آثار الوثنية ومعالم النصرانية

ولم تقتصر الصلة بين الأدب وغيره من الفنون على اقتباسه منها واستلهامه إياها ، بل حدث العكس : إذ عمد أعلام تلك الفنون إلى الأدب يطلبون الوحى وينشدون النماذج ، فوجدوا فى روايات شكسبير العديدة ، ومناظرها الكثيرة ، وشخصياتها الحية ، ومواقفها الحافلة بشتى العواطف ، وفى خرائد ملتون المملوءة بالأوصاف والصور والحالات النفسية ، وفى روائع تنيسون وبروننج المنسوجة من أشتات الخرافات البديعة ، منادح لفنهم ومسرى لخيالهم . والمتاحف الانجليزية ملأى بتلك الآثار المنتزعة من قصائد الشعراء . كصور ليدى شيلوت ، وأوفيليا ، والحسناء القاسية

وكان من شعراء الانجليزية المعدودين من ضربوا بسهم فى الفنون الأخرى ، واشتهروا بها اشتهارهم بصناعة القلم : فشكسبير كان ممثلاً كما كان شاعراً ومؤلفاً للمسرح ، ووليم موريس كان مصوراً وشاعراً ، وروزيتى ألَّف جماعة « ما قبل الرافائيليين » التى كانت لها مبادئها فى التصوير ، كما كان لها مذهبها فى الأدب ؛ وأكثر من هؤلاء من لم تدركهم الشهرة فى غير الأدب من الفنون ، وإن كانوا شديدى الولع بها ، شديدى الشغف بممارستها والتثقف فيها

وهكذا أصبح من غير النادر فى الانجليزية أن ترى الأسطورة أو القصة التاريخية ، كوقائع يوليسيز ومخاطرات فرسان المائدة المستديرة . وقد تناولها الشاعر والممثل والمصور والنحات كل من ناحيته مستقلاً بنظرته ، أو معتمداً على الآخرين ، مستلهماً محاسنها ومغازيها ، مبرزاً من صورها وأفكارها ما يلائم فنه ويجرى فى مجال صنعته ، نافثاً فيها من خلاصة تفكيره وعصارة شعوره واتجاهات عصره ما يزيدها جدة وروعة

هذا التواصل والتجاوب والتعاون المستمر بين الفنون زاد الأدب الانجليزى خصباً على خصب أفسح أمامه أغراض القول ، وزاد رجاله بصراً بحقائق الفن وغاياته ووسائله ، واعتقاداً بوحدة الفنون جميعاً وتلاقيها فى الوسائل والغايات ؛ فحرصوا فى نثرهم ونظمهم على صدق النظرة وصحة الشعور ونشدان الجمال ، واستعاروا وسائل الموسيقار والمصور والممثل والنحات ، فاهتموا بالأوصاف الجميلة للطبيعة والانسان ، واعتنوا بتوضيحها وإبرازها ، متوسلين لتصوير المعنى بجرس اللفظ ومناسبة التعبير واختيار القوافى . وتصرفوا فى الوزن والروى بما يلائم الحالة الموصوفة من سكون

أو حركة ، وفرح أو حزن ، وقسوة أو لطف : وتأنقوا فى صوغ الحوار بين أبطال قصائدهم ، معبراً حوارهم عن منازعهم ؛ فاذا قرأت القصيدة القصيرة أوالطويلة لأحدهم ، لم تجدك حيال معانٍ ذهنية مزاحمة ، بل رأيت صوراً محكمة التصوير ، وموسيقى مطربة النغمات ، وأشخاصاً ممتلئين حياة وقوة وألواناً وظلالا

ولم يغفل الشعراء الذين مجدوا الفنون الأخرى ذلك التمجيد عن فهم الخاص : فنظم پوپ وكيتس وتنيسون وغيرهم من الأعلام قصائد غراء فى الشعر والشعراء . وللتون وماثيو أرنولد أشعار فى شكسبير تفيض إعجاباً وتقديساً ، ولوردزورث وتنيسون وأبركرومبى الشاعر المعاصر فى ذكرى ملتون أشعار كهذه . وكان هاردى لا يعلى ذكر شلى وتعظيمه فى قصيده ؛ وكانت لشعراء الأمم الأخرى لدى شعراء الانجليز منزلة كهذه ، فأشعارهم ملأى بمحاكاة الشعراء الأقدمين كهوميروس وڤرجيل ودانتى والخيام ، والمحدثين كشيلر وجيته وهيجو ، وترجمتهم والتحدث عنهم ، لأن الفن يجمعهم طراً فى صعيد واحد ، ويمحو بينهم فوارق الزمان والمكان

وما أعظم الفرق بين هذا الاعجاب النبيل بمتقدمى الشعراء ، وبين ما نراه فى العربية من وثوب بعض الشعراء ببعض ، ووقوع حماد فى بشار ، وحملة ابن الرومى على البحترى ، وحقد دعبل على الطائى ؛ أذهلهم التناحر على متاع الدنيا عن الصلة السامية التى يصلهم بها الفن ؛ وقد نعلم أن البحترى كان يقدّم أبا تمام ، وأن المعرى كان يعظم أبا الطيب ، ولكن ذلك التقدير لم يتخذ شكلا فنيا ، ولم يبرز فى عالم الشعر قصيداً رائعاً يفيض بتقديس الفن وتبجيل رجاله . وبينما كان ذاك التحاقد ديدن شعراء العربية فيما بينهم كان جهلهم بشعراء الأمم الأخرى مطبقا

لقد حجب العرب عن تلك العوالم الفنية إعراضهم عن تراث اليونان الفنى ، ودعاهم إلى ذلك الأعراض تمكن الملكة البيانية منهم ؛ تمكنت من نفوسهم فى البادية ، حيث لا تتوفر أدوات فن من الفنون سوى فن البيان الذى لا يحتاج إلى أدوات غير صفاء الذهن وطلاقة اللسان ، وقوّى اعتداد العرب بتلك الملكة وتوفرهم عليها نزول القرآن الكريم الذى زادهم كلفا بالفصاحة ، وكان دائماً أساس ثقافتهم التى يؤخذون بها من الصغر . فالانجليز اتصلوا بتراث اليونان وهم بعد مقصرون دون جميع غايات الثقافة ، فاغترفوا من جميع مناهله ؛ ولم يتصل العرب به وبغيره من تراث الأمم إلا بعد أن توطد أدبهم وتمكن سلطانه من نفوسهم ، فشمخوا به على سائر الآداب ، واستغنوا به عن كل الفنون

لذلك لم يحفل العرب بالتمثيل ، ولم يزدهر بينهم التصوير والنحت ، ولم يتعدوا حدود الصناعة ذات الغرض المادى إلى حدود الفن السامى الذى هو غاية نفسه ، واقتصروا من التصوير والزخرفة والنحت على ما كان يزين قصور كبرائهم من تهاويل ودُمى قليلة الحظ من الفن ، لا تحمل وراءها من المعانى السامية ما تحمله الصور والتماثيل الفنية ؛ واستبد الأدب بالتعبير عن أسمى مشاعر العرب وأرقى أفكارهم . وإذا تذكرنا أن الفنين الآخرين سالفى الذكر — الموسيقى والرقص — لم يتخلصا من ربقة المادية وشهوة الشهوات إلى عوالم الفن المتسامى بالنفوس ، وظلا دائماً مقرونين بالشراب والقصف وخلع العذار ، تبين لنا أن الأدب كان فنّ العرب الفرد ، وأن الشعر ظل ديوانهم فى مختلف عصورهم ، أودعوه حوارهم فاستغنوا عن التمثيل ، وأوصافهم فاستغنوا عن التصوير ، وأمداحهم فقام مقام التماثيل

ومن ثم نرى أثر فنون التمثيل والتصوير والنحت فى الأدب العربى ضئيلاً : فلم يكن بين العرب ممارسون لتلك الفنون ينعكس ظل فنونهم فى الأدب ؛ ولم يكن لدى أدباء العربية كبير اهتمام بمخلفات الأمم السالفة فى مشارق دولتهم ومغاربها . ومن القليل الجيد الذى نظموه فى تلك المناحى سينية البحترى التى يصف فيها نقوش إيوان كسرى ، ورائية ابن حمديس التى يصف فيها تماثيل الأسود فى بعض القصور ، وسينية أبى نواس التى يصف عرضاً فى أثنائها تصاوير كأسه فى قوله :

قرارتها كسرى وفى جنباتها ... مهاً تدّريها بالقسى الفوارس
فللخمر ما زُرت عليه جيوبها ... وللماء ما دارت عليه القلانس

وقول بعض شعراء الأندلس فى تمثال امرأة وولدها :

ودمية مرمر تزهو بجيد ... تناهى فى التورد والبياض
لها ولد ولم تعرف حليلا ... ولا أَلَمَتْ بأوجاع المخاض
ونعلم أنها حجرٌ ولكن ... تنيمّنا بألحاظ مراض

ولا تخلو كل هذه الشواهد من آيات البراعة وحسن الملاحظة

والوصف ، حتى ليأسى المرء على أن لم يول العرب هذه النواحى من القول اهتماماً أكثر مما أولوها . وسينية البحترى مَثَلٌ شرود من أمثلة الشعور الصادق والعاطفة الانسانية والروح الفنيـة فى الأدب العربى ؛ وأعجب من تفردها فى الأدب العربى صدورُها عن البحترى الذى سخَّر بيانه للمدح والهجاء . وقد كان نقاد العرب يطربون لهـذه الأشعار الفنية الجميلة ، البعيدة عن آثار المدح والهجاء والنسيب المتكلف ، فقد أعجب الجاحظ وغيره بسينيتى البحترى وأبى نواس سالفتى الذكر ، وعدوهما من ذخائر الشعر العربى ، ولـكن دواعى مثل هذا النظم كانت نادرة ، وتيار محاكاة السابقين كان يدفع الأدباء فى غير هذا الاتجاه

فالأمتان العربية والانجليزية تتفقان فى ظهور الأدب فيهما على سائر الفنون واجتـذابه أغلب نوابغهما ، واشتهارهما بالسبق فيه بين الأمم ، فان الانجليز وإن جاروا الأوربيين فى مجالات النحت والتصوير لم يبلغوا شأوهم كما بلغوا الشأو والغاية فى صناعتى الشعر والنثر ، ولم ينجبوا من أعلام النحت والتصوير من توازى مكانته العالية مكانة شكسبير وملتون وبيرون ؛ ولـكن تفترق الأمتان فى أنه بينما مارس الانجليز الفنون الأخرى وهاموا بها ومجدوا آثار الأمم الأخرى فيها أهمل العرب الفنون الأخرى إهمالاً يكاد يكون تاما ، فلم تجتذب اهتمام نوابغهم ومثقفيهم ، وظل ما عرفوه منها أدنى إلى الصناعات منه إلى الفنون ، وظل الأدب — ولا سيما الشعر — يشـغل فى عالم الفن والوجدان مكاناً عالياً وسلطة مطلقة فردية بين العرب ، كسلطة الخلفاء والأمراء المستبدة فى عالم السياسة ، متوحداً بالافصاح عن أفكارهم مستأثراً برعايتهم وإجلالهم

وقد خسر الأدب العربى بتفرده هذا الشىء الـكثير ، لأن الفن الواحد لا ينمو خير نموه بمزلتـه ، بل بمواصلته الفنون الأخرى ؛ خسر ما كان ينتظر أن تمده به تلك الفنون من إلهامات ومنادح للقول ، وما كان ينتظر أن تبثه فى رجاله من فهم دقيق للفن وسمو غايته وتعاليه عن المـادة وبُعد مراميه ، وما توحيه إليهم من وسائل للتعبير والتصوير والملاءمة بين المعنى واللفظ ، وجعل الأخير دائماً خادما للأول . وبالجملة خسر الأدب معاونة الفنون التى استأثر بالمكانة دونها ، كما خسر مساعدة الآداب الأجنبية التى ترفَّع عنها

فتحى أبو السعود

صـــــديق !

للأستاذ على الطنطاوى

أستأذن أستاذنا المازنى فأستعير منه تلك الـكليشيه المعهودة التى كان يصدر بها مقالات ذات الثوب الأرجوانى ، لأقول : إن المقالة خيالية لا حقيقية ، وأؤكد هـذا للقراء ! (على)

قال :

... لا أدرى كيف عرفته ، ولا أعلم السبيل التى دخل منها إلى قلبى ؛ فاحتل فيه هذه المنزلة ، ولم أنتبه له إلا وهو ملء سمعى وبصرى وعقلى ...

وإننى لأعرفه منذ عشرين يوما ، ولـكنى أحاول عبثاً حين أحاول اذكار بدايتى معه ، لأنه عماد حياتى ؛ لا أستطيع أن أتصور لصلتى به بداية ؛ عرفته يوم عرفت الدنيا ؛ لم أجهله قط ولم أنفرد عنه ساعة ؛ وهو دنياى ، إن لقيته لقيت الحياة ، وإن نأى عنى وجدت كل شىء فى الحياة ميتا

ولست أدرى أى صلة هذه ، ولا أعرف لها تحديداً مضبوطاً ، ولـكن الذى أدريه وأعرفه أنه ليس له فى أعماق قلبى إلا الصداقة . إننى لم أنظر إلا إلى روحه ، بل أنا لا أقدر أبداً أن أتخيله بشراً من لحم ودم . إننى أراه فكرة سامية ، صورة شعرية بارعة ، معنى من المعانى العبقرية ... إننى أراه وحده معنى كلـة الوجود ... لقد ضاعت معه حدود شخصيتى ، وعميت معالمها ، فلم أعد أعرف أين أنتهى (أنا) ، وأين يبدأ (هو) ، وامتزجت نفسى بنفسه ، فكأنى (أنا من أهوى ومن أهوى أنا . . .) ، وكدت أقول بالحلول ، وأرتكب هذه الحماقة الـكبرى ، التى لا يقول بها ذو عقل . . . حين رأيتنى أضحك إذا سر (هو) ، وأحزن إذا تألم ، وأشبع إذا أكل ، وإذا أصابه الصداع وجمنى رأسه ، وإذا رأى (هو) حلماً هنيئاً تبسمت وأنا غارق فى منامى ، أجد اللذة الـكبرى فى رفاهيته وراحته ، وآلم لشقائه أكثر مما آلم لشقائى ، وأريد أن أمنحه صحتى وحياتى وكل ما أملك ؛ أريد أن أفنى فيه ولا أجد فى شىء من ذلك عملاً كبيراً ، ولا أحس أنى مقدم على تضحية ، لأنه اندمج فى أعمق عاطفة من عواطفى ، ونزل إلى

أبعد غورٍ من نفسي ، وسيطر على قواي كلّها ، فلم يبق لي عاطفة مستقلة أو حاسة حرة أفكر بها فيه ، وأزن صلتي به . . .

* * *

اختلف نظري الى الحياة ، وتبدلت المشاهد في عيني ، وكأن الدنيا كانت في ظلام ، حتى طلع في سمائها بدراً منيراً فأصبحت أرى كل شيء جميلاً في بصري : هذا السطح المشرف على الفضاء الرحيب ، سطح دارنا في «الأعظمية» ، وهذا النخيل الممتد الى غير ما نهاية ، وبغداد التي تلوح منائرها وقبابها كأنها معلقة في السماء حيال الأفق ، ودجلة التي تبدو من خلال الأغصان لامعة كصفحة المرآة المجلوة تشق عبابها الزوارق ، تقابل شُرُعها البيض مع نسيم المساء الناعش الخفيف ، والبدر الذي طلع من الشرق يبدو منه حاجب ويختفي حاجب وراء نقاب من الغيوم ... وهذا الطريق الذي لم تمتد اليه يد الحكومة بالتمهيد فبقي على فطرته وجماله لم تشوهه كفّ الانسان ، يظهر تارة ، ويلتوي تارات ، ويضيع بين النخيل ويضل الطريق ... والفلاحين الذين يرجعون إلى دورهم حين تعود الشمس الى خدرها ، ويزدحمون على هذا الطريق الشعري الضيق ، هم ودوابهم ومواشيهم تطنطن الأجراس في أعناقها والقطمان يسوقها الرعاة الذين تنكبوا عصيهم ثم ساروا وراءها يزمرون أو يغنون ، وهؤلاء الأطفال من تلاميذ المدارس الذين يلعبون في هذه الرحبة ، يتقاذفون الكرة يتصايحون ويتراكضون ، فاذا أمسك أحدهم بها ضربها برجله فانطلقت تشق الفضاء كأنها القنبلة ، ووقف الصبية صامتين قد علقوا أنفاسهم وتبعتها عيونهم ، تبصر مسيرها ، فاذا هبطت واستقرت على الأرض عادوا يركضون ويصيحون

أصبحت أرى كل شيء جميلاً في عيني حبيباً إليّ : الفلاحين الآوين الى بيوتهم ، والأطفال العاكفين على كرتهم ، والدواب والمواشي ... وأسمع في كل صوت أغنية عذبة ، أسمعها في حفيف الأوراق ، وزقزقة العصافير ، ونباح الكلاب ، ودوي الرعد ... وأرى الجمال في ظلام الليل الدامس ، كما أراه في صفحة البدر المنير ، وأبصره في الصحراء المقفرة ، كما أبصره في الروضة المزهرة ، وأسمعه في صفير الرياح المرعب ، كما أسمعه في تغريد البلبل المطرب ، وألمسه في الخريف كما ألمسه في الربيع ؛ بل إني لأعجب من هؤلاء النظامين المتشاعرين الذين يسميهم الناس شعراء ، كيف يعمون عن صفحة الكون ، ثم يذهبون فيحدّقون في صفحات الكتب ، وينظرون فيها بالمجهر : هؤلاء المقلدين الذين يظنون أن الخريف معناه الوحشة أبداً والموت والكآبة ، وأن معنى الربيع الأنس دائماً والبهجة والسرور ، كأن العواطف البشرية تسير على التقويم الفلكي ، وتدور مع الأيام ... فليس على الشاعر إلا أن ينظر في التقويم حتى يرى أيوم حزن هو ، أم يوم سرور ؟! وكأن في وجه الأديب زجاجتي فوتوغراف لا تريان إلا ما في الوجود ، لا عيني إنسان يحس ويشعر

أين إذن عاطفة الشاعر ؟ وهل يرى الشاعر الحزين اليائس ربيعاً مشرقاً جميلاً ؟ ألا يرى في الربيع الوحشة والكآبة والحزن ؟ وهل يشعر المسلول القانط بجمال الزهر ؟ والشاعر الفرح ؟ ألا يرى في الشتاء وفي الخريف جمالاً وبهجة ، ويبصر فيهما وروداً وزهرا ؟

إن في شعر هؤلاء المتشاعرين المقلدين كل شيء إلا الحياة ، إلا العاطفة ، إلا الروح . هو شعر ميت ، تمثال حسناء ، ولكنه من الشمع !

* * *

لقد ظهر هذا الصديق فجأة في طريق ، فملك عليّ أمري ، وأخذ بيدي فسلك بي طريقاً جديدة ، حتى نأى بي عن الناس فأصبحت لا أرى في الدنيا غيره ، ولا أبصر سواه ، وصبّ في نفسي عزيمة وقوة ، فأحسست بالنشاط في جسمي وروحي ، ودفعني إلى أداء الواجب علي ، فوفّيته على وجهه ، وساقني في سبيل الاستقامة والشرف ، ونحا بي عن (الأنانية) والاستئثار فأضحيت أشفق حتى على أعدائي المخاصمين ، وأعطف حتى على المجرمين والساقطين ؛ وفتح لي مغاليق هذا الكون ، فاذا وراء هذه المظاهر دنيا من الجمال والجلال والسحر والفتون ، وإذا حيال هذه الدنيا دنيا أكبر ، وأحفل بالكائنات ، هي في نفسي ، فرأيت وأبصرت ونعمت وانتفعت ...

* * *

لقد دفعتني هذه الصداقة إلى الصلة بربي ، والقيام بواجبي ، والتعلق بأهلي ، فلست أريد بعدها شيئاً ، لخذوا الدنيا كلها ، حسبي أني أخذت منها صديقاً

(بغداد) علي الطنطاوي

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

الجزء الأول

مستهل زرادشت

— ١ —

لما بلغ زارا الثلاثين من عمره ، هجر وطنه وبحيرته وسار إلى الجبل حيث أقام عشر سنوات يتمتع بعزلته وتفكيره إلى أن تبدلت سريرته ، فنهض يوماً من رقاده مع انبثاق الفجر وانتصب أمام الشمس يناجيها قائلاً : . .

— لو لم يكن لشعاعك من يُنير ، أكان لك غبطةٌ ، أيها الكوكب العظيم ؟ منذ عشر سنوات ما برحت تشرق على كهفي ، فلولاي ولولا نسري وأفعاي ، لكنت مَللت أنوارك وسئمت ذرع هذا السبيل ، ولكننا كنا نترقب بزوغك كل صباح لنتمتع بفيضك ونرسل بركتنا إليك . أصغ إليّ ، لقد كرهت نفسي حكمتي كالنحلة أتخمها ما جمعت ، فمن لي بالأكف تنبسط أمامي لأهب وأغدق إلى أن يغتبط الحكماءُ من الناس بجنونهم ويسعد الفقراء منهم بثروتهم

تلك هي الأمنية التي تهيب بي للجنوح إلى الأعماق ، كما تجنح أنت كل مساء منحدراً وراء البحار حاملاً إشعاعك إلى الشقة السفلى من العالم ، أيها الكوكب الطافح بالكنوز

لقد وجب عليّ أن أتوارى أسوة بك ، وجب عليّ أن أرقد على حد تعبير الأناسيّ الذين أهفو إليهم

باركني ، إذن ، أيها الكوكب ، فأنت المقلة المطمئنة التي يسعها أن تشهد ما لا يحد من السعادة دون أن تختلج كمقلة الحاسدين

بارك الكأس الدهاق تسكب سلسبيلاً مذهّباً ينثر على الآفاق وهجاً من مسراتك .

أنظر ! إن هذه الكأس تريد أن تندفق ثانية ، ويريد زارا أن يعود إنساناً

وهكذا بدأ جنوح زارا إلى المغيب

— ٢ —

وانحدر زارا من الجبال فما لقي أحداً حتى بلغ الغاب حيث انتصب أمامه شيخٌ خرج من كوخه بغتةً ليفتش عن بعض الجذور والأعشاب ، فقال الشيخ :

— ليس هذا الرحّالة غريباً عن ذاكرتي ، لقد اجتاز هذا المكان منذ عشر سنوات ، ولكنه اليوم غيره بالأمس

لقد كنتَ تحمل رمادك في ذلك الحين إلى الجبل ، يا زارا ، فهل أنت تحمل الآن نارك إلى الوادي ؟ أفما تحاذر يا هذا أن ينزل بك عقاب من يضرم النار ؟

لقد عرفت زارا ، هذه عينه الصافية ، وليس على شفتيه للاشمئزاز أثر ؛ أما تراه يتقدم بخطوات الراقصين ؟

لقد تبدلت هيئة زارا ، إذ رجع بنفسه إلى طفولته . لقد استيقظت يا زارا فماذا أنت فاعل قرب النائمين

كنت تعيش في العزلة كمن يعوم في بحر والبحر يحمل أثقاله ، وأراك الآن تتجه إلى اليابسة ، أتريد الاستغناء عمن حملك لتسحب هامتك على الأرض بنفسك ؟

فأجاب زارا : إنني أحب الناس

فقال الشيخ الحكيم : إنني ما طلبتُ العزلة واتجهتُ إلى الغاب إلا لاستغراق في حبهم ، أما الآن فقد تحولت حبي إلى الله ، وما الانسان في نظري إلا كائن ناقص ، فاذا ما أحببته قتلني حبه

فأجاب زارا : ومن يصف لك الحب الآن ! إنني لا أقصد الناس إلا لأنفحهم بالهدايا

فقال الحكيم القديس : إياك أن تعطيهم شيئاً ، والأجدر بك أن تأخذ منهم ما تساعدهم على حمله ، ذلك أجدى لهم على أن تقسم سهمك من هذا الخير ، وإذا كان لا بد لك من العطاء فلا تمنح الناس إلا صدقة على أن يتقدموا اليك مستجدين أولاً

فأجاب زارا : أنا لا أتصدق ، إذ لم أبلغ من الفقر ما يجيز لي أن أكون من المتصدقين

فضحك القديس مستهزئاً وقال : حاول جهدك إذن إقناعهم بقبول كنوزك ، إنهم يحاذرون المنعزلين عن العالم ، ولا يصدقون بأننا نأتيهم بالهبات ؛ إن لخطوات الناسك في الشارع وقعاً مستغرباً في آذان الناس . إنهم ليجفلون على

مراقدهم إذ يسمعونها فيتساءلون : إلى أين يزحف هذا اللص ؟!

لا تقترب من هؤلاء الناس . لا تبارح مقامك فى الغاب ، فالأجدر بك أن تعود إلى مراتع الحيوان ، أفلا يرضيك أن تكون مثلى دباً بين الدببة وطيراً بين الأطيار ؟

فسأل زارا : وما هو عمل القديس فى هذا الغاب ؟

فأجاب القديس : إننى أنظم الأناشيد لأترنم بها ، فأرانى حمدت الله إذ أسرّ نجواى فيها بين الضحك والبكاء ، لأننى بالانشاد والبكاء والضحك والمناجاة أسبح الله ربى ، ومع هذا ، فما هى الهدية التى تحملها الينا ؟

فانحنى زارا مسلما وقال للقديس : أى شىء أعطيك ؟ دعنى أذهب عنك مسرعا كيلا آخذ منك شيئاً

وهكذا افترقا وهما يضحكان كأنهما طفلان

وعندما انفرد زارا قال فى نفسه :

— إنه لأمر جد مستغرب ، ألما يسمع هذا الشيخ فى غابه أن الاله قد مات[1]

— ٣ —

وإذ وصل زارا إلى المدينة المجاورة ، وهى أقرب المدن إلى الغاب ، رأى الساحة مكتظة بخلق كثير أعلنوا من قبل أن بهلوانا سيقوم هنالك بالألعاب ، فوقف زارا فى الحشد يخطبه قائلاً :

— إننى آت اليكم بنبأ الانسان المتفوق ، فما الانسان العادى إلا كائن يجب أن نفوقه ، فماذا أعددتم للتفوق عليه ؟

إن كلا من الكائنات أوجد من نفسه شيئاً يفوقه ، وأنتم تريدون أن تكونوا جزراً يصد الموجة الكبرى فى مدها ؛ بل إنكم تؤثرون التقهقر إلى حالة الحيوان بدل اندفاعكم للتفوق على الانسان . وهل القرد من الانسان إلا سخريته وعاره ؟ لقد اتجهتم على طريق مبدؤها الدودة ومنتهاها الانسان ، غير أنكم أبقيتم على جل ما تتصف ديدان الأرض به . لقد كنتم من جنس القرود فيما مضى ؛ على أن الانسان لم يفتأ حتى اليوم أعرق من القرود فى قرديته

ليس أوفركم حكمة إلا كائن مشوش لا يمت بنسبه إلى أصل صريح ، فهو مزيج من النبات والأشباح ، وما أدعو الانسان ليتحول إلى شبح أو إلى نبات

لقد أتيتكم بنبأ الانسان المتفوق

إنه من الأرض كالمعنى من المبنى ، فلتتجه إرادتكم إلى جعل الانسان المتفوق معنى لهذه الأرض وروحاً لها

أتوسل اليكم ، أيها الأخوة بأن تحتفظوا للأرض باخلاصكم فلا تصدقوا من يعنونكم بآمال تتعالى فوقها ؛ إنهم يعلقونكم بالمحال فيدسون لكم السم ، سواء أجهلوا أم عرفوا ما يعملون ، أولئك هم المزدرون للحياة ، لقد رعى السم أحشاءهم فهم يحتضرون ؛ لقد تعبت الأرض منهم فليقلعوا عنها

لقد كانت الروح تنظر فيما مضى إلى الجسد نظرة الاحتقار فلم يكن حينذاك من مجد يطاول عظمة هذا الاحتقار . لقد كانت الروح تتمنى الجسد ناحلاً قبيحاً جائعاً متوهمة أنها تتمكن بذلك من الانعتاق منه ومن الأرض التى يدب عليها . وما كانت تلك الروح إلا على مثال ما تشتهى لجسدها ناحلة قبيحة جائعة ، تتوهم أن أقصى لذتها إنما يكمن فى قسوتها وإرغامها .

أفليست روحكم ، أيها الأخوة ، مثل هذه الروح ؟ ألما تعان لكم أجسادكم عنها أنها مسكنة وقذارة وأنها غرور يسترعى الاشفاق ؟

والحق ما الانسان إلا غدير دنس ، وليس إلا لمن أصبح محيطاً أن يقتبل انصباب مثل هذا الغدير فى عبابه دون أن يتدنس

تعلموا من هو الانسان المتفوق

إن هو إلا ذلك المحيط تغرقون احتقاركم فى أغواره

وهل تتوقعون بلوغ معجزة أعظم من هذه المعجزة ؟

لقد آن للاحتقار أن يبلغ أشده فيكم ، بعد أن استحال شرفكم ذاته كما استحالت عقولكم وفضائلكم إلى كبر واشمئزاز

لقد آن لكم أن تقولوا : ما يهمنى شرفى ، وما هو إلا مسكنة وقذارة وغرور ، فى حين أن على الشرف أن يبرّر الحياة نفسها

لقد آن لكم أن تقولوا : ما تهمنى القوى العاقلة فىّ ، إذا لم تطلب الحكمة بجوع الأسد ، وما هى الآن إلا مسكنة وقذارة وغرور

لقد آن لكم أن تقولوا : ما تهمنى فضيلتى فلنها لم تصل بى

(١) راجع المقدمة فى العدد الماضى من الرسالة

تاريخ العـــرب الأدبي

للأستاذ رينولد نيكلسون

المستشرق الانجليزي

المدخل لتاريخ العرب

— ٣ —

٥ — من الفتح المغولي الى اليوم (من ١٢٥٨ —)

انتهى عصر الخلافة بسقوط بغداد عام ١٢٥٨ م في يد المغول الرحّل الذين كانوا تحت زعامة هولاكو . وما كادوا يتقدّمون إلى الأمام حتى صدهم المماليك المصريون وردوهم على أعقابهم إلى فارس التي اعتنقوا فيها الاسلام بعد زهاء خمسين عاماً ، أما الخانات خلفاء هولاكو فقد حكموا في فارس

ثم أغار على آسيا الغربية فريق من البرابرة بقيادة تيمور واندفعوا كالأتي المزبد ، ونشروا الفساد والفوضى في ربوعها (١٣٨٠ — ١٤٠٥ م) وإذ ذاك تفككت رابطة الاسلام من الناحية السياسية . وفي هذه الفوضى الضاربة بأجرانها نشأت ثلاث أمبراطوريات اسلامية . ففي سنة ١٣٥٨ عبر الأتراك العثمانيون البسفور ودخلوا القسطنطينية عام ١٤٥٣ ، حتى إذا كان عام ١٥١٧ دخلت في حوزتهم سورية ومصر وبلاد العرب وأصبحت فارس مملكة مستقلة تحت حكم الصفويين (١٥٠٢ — ١٧٣٦) بينما أسس بابُر وهو من ولد تيمور — امبراطورية التتر العظمى والهند ، وظلت قوية الشوكة تحت خلفائه وخاصة أكبر وأورنجزيب (١٥٢٥ — ١٧٠٧)

أما الحوادث السياسية التي أجلناها آنفاً فسنعالجها بالتفصيل في صلب هذا الكتاب ؛ على حين أن غيرها لن يكون نصيبه منا سوى الاشارة الموجزة والنظرة العابرة . ولما كانت الآراء التي انتشرت في الأدب العربي شديدة الارتباط بتاريخ الناس ولا سبيل الى فهمها بعيداً عن الحوادث الخارجية التي نشأت فيها ، فقد وجدت نفسي مضطراً إلى الأسهاب في بعض النواحي التاريخية حتى يتبين القارىء الحقائق المهمة من وجهة نظرنا الخاصة . كما يرى أن ليس من إطناب في الكلام عن العصور المتقدّمة السابقة (٥٠٠ — ٧٥٠ م) خاصة إذا علم أن هذه تعد بحور التاريخ العربي ومركزه . وقد بلغت الحضارة الاسلامية أقصى شأوها خلال القرنين التاليين لهذا التاريخ وإن أخذ العرب يتراجعون إلى الوراء سريعاً . وقد طمس الهجوم التتاري — في الغالب — معالم حياتهم الأهلية وإن ظلوا متمسكين في سورية ومصر تحت الحكم التركي بأهداب ثقافتهم كما نراهم يستميتون في الكفاح باسبانيا ضد النصرانية . وفي أيام ازدهار الدولة العباسية كان أثر العرب الخلص Pur sang في الأدب الذي حمل اسمهم ضئيلاً قياسياً ؛ ولم ألتزم جادّة القياس الوطني وإلا استثنيت جميع الأجانب والمولدين الذين كتبوا بالعربية . أما الفرس الذين ألفوا حتى يومنا هذا استعمال الضاد في كتاباتهم الدينية أو الفلسفية فيمكن القول بأن عملهم لا يصور تاريخ الفكر العربي ؛ ومن ثم كان من الضروري دراستها معاً كي نصل إلى الغاية المقصودة . ولكن ماذا يكون موقفنا إزاء هؤلاء المؤلفين الكثيرين الذائعي الصيت الذين ليسوا عرباً أقحاحاً ولا فرساً خالصين ، بل هم مزيج من الجنسين . أترانا نسترجع أنسابهم ونحاول أن نزن أي دم الجنسين أرجح كفة ؟ إن مثل هذه المحاولة يطول أمدها ، وليس من ورائها جدوى . والمؤكد أنه بعد العصر الأموي لا يستطاع وضع حد فاصل صحيح بين العناصر الأهلية والأجنبية الموجودة في الأدب العربي ، فقد امتزج كل منها

إلى الاستغراق ، وقد أتعبني خيري وشري ، وما هما إلا مسكنة وقذارة وغرور

لقد آن لكم أن تقولوا : ما يهمني عدلي ، إن العادل يقدح شرراً ولما أشتعل

لقد آن لكم أن تقولوا : ما تهمني رحمتي ، أفايست الرحمة صليباً يُسمَّر عليه من يحب البشر . ورحمتي لما ترفعني على الصليب

أقلتم مثل هذا وناديتم به ؟ ليتني سمعتكم تهتفون بمثله !

إن ما يرفع عقيرته على السماء إن هو إلا غروركم لاخطاياكم ، إن هو إلا حرصكم حتى في خطاياكم

أين هو اللهب الذي يمتد اليكم ليطهركم ؟ أين هو الجنون الذي يجب أن يستولي عليكم ؟

هأنذا أنبئكم عن الانسان المتفوق

إن هو إلا ذلك اللهب وذلك الجنون

(يتبع) فليكس فارس

بالآخر امتزاجاً قويا . وإذا كان لا بد من التمييز بينهما إلى أبعد حد مستطاع ، فلابد لنا من اتباع طريقة ضيقة واهية فى عرض التاريخ الأدبى إذا أصررنا على اعتبار كل منهما منفصلاً عن الآخر

الفصل الأول

سبأ وحمير

قد يمكن القول بأن تاريخ العرب يبدأ بما نعرفه عن أهل سبأ ، ولكن لخطوة تمهيدية ينبغى لنا أن نلمّ ببعض الأجناس التى تعرض علينا صورها فى الأساطير والقصص ، والتى يعتبرها المؤرخون المحدثون السكان الأصليين للبلاد . ومن بين هؤلاء قوم عاد وثمود ، أولئك الذين طالما ورد ذكرهم فى القرآن مثلاً للكبرياء والجبروت اللذين أديا بهم إلى التهلكة . وكان موطن « عاد » أرض حضرموت التى تتاخم بلاد اليمن على حدود الصحراء المسماة بالأحقاف . ولايستطاع الجزم أهم من الجنس السامى من سلالة الأراميين الذين أخضعهم وأبادهم الغزاة المغيرون على بلادهم من الشمال أم أنهم — كما يقرّر هومل (١) — ممثلو ثقافة غير سامية خلفت إرم ذات العماد (٢) ، تلك الجنة الأرضية التى بناها « شدّاد » أحد ملوكهم . وإن قصة هلاكهم لتروى على النمط التالى (٣) : ذلك أنهم كانوا جبارين ضخام الأجسام ، يعبدون الأصنام ويقترفون شتى الموبقات ، فلما بعث الله فيهم نبيّه « هودا » نصح لهم أن يتوبوا عما اقترفوه من الآثام فقالوا له : (ياهود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ، إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء (٤)) . ثم نزل قحط شديد بأرض عاد فأرسلوا بعض رءوسهم إلى مكة ليصلّوا عسى أن ينزل القطر ويستقوا ، وإذ بلغت رسلهم مكة لقيهم أمير العمالقة « معاوية بن بكر » بالبشر والترحاب ، ومدّ لهم الموائد ، فشربوا الخمر ودارت بالدفوف جاريتان ذواتا غناء شجى تسمّيان بالجرادتين ، فألهاهم ذلك عما جاءوا من أجله شهراً كاملاً ، فلما حان وقت أوبتهم قام أحدهم ليصلّى ، فلم يكد ينتهى من صلاته حتى حلّقت فى السماء ثلاث سحابات مختلفة الألوان إحداها حمراء والثانية بيضاء والثالثة دكناء ، ثم رنّ صوت من خلف السموات يقول « يا قيل : اختر لنفسك وقومك من هذا السحاب » فاختار الرسل السوداء ظناً منهم أنها تمجّ بالماء ، وأنها أكثر السحاب فيضا ، وحينذاك أنشد الصوت :

« خذها رماداً رمددا لا تدع من عاد أحدا
لا والداً تترك ولا ولدا إلا جعلتيه همدا »

ثم ساق الآله السحابة السوداء حتى حوّمت فوق أرض عاد فانبعثت منها إذ ذاك ريح صرصر عاتية أفنت الناس جميعاً إلا فئة (١) قليلة لبّت نداء هود وأجابته إلى دعوته ونبذت عبادة الأوثان . وإذ ذاك ظهر بطبيعة الحال وعلى ممر الزمن شعب آخر يدعى بقوم عاد الثانية وكان مقره اليمن فى مملكة سبأ ؛ وإن السد العظيم سدّ مأرب لينسب إلى ملكهم لقمان بن عاد الذى تحاك حوله طائفة من الخرافات ، وكان يكنى بذى النسور إذ أوحى إليه أنه سيعمر ويفنى سبعة أنسر كلما مات واحد خلا إلى آخر

وفى شمال بلاد العرب بين الحجاز وسورية سكن قوم ثمود الذين ورد ذكرهم فى القرآن (٢) بأنهم كانوا يسكنون مغارات نحتوها فى الجبال . ولا شك أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان يجهل طبيعة هذه البيوت المنحوتة فى الصخور ، والتى لا تزال آثارها قائمة فى الحجر (مدائن صالح) على مسيرة أسبوع من شمال المدينة ، والتى تدل عليها النقوش النبطية (٣) التى عثر عليها فى القبور . وقد أخطأت ثمود كما أخطأت عاد من قبل . وتشابهت النهايتان ، فهزأت ثمود من نبيها صالح وأبت أن تطيعه أو يأتى بمعجزة خارقة ، فأطلع لهم صالح من الصخر ناقة ضخمة وفصيلها ، وأمر ثمود ألا تمس بسوء ؛ بيد أن أحد الأئمة الأشرار واسمه « قُدار الأحمر » عقرها وذبحها (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) وصارت (٤) العرب تقول لكل من باء بجرم كبير ، وحظ أغبر « أنكد حظاً من عاقر الناقة أو أحمر ثمود » وينبغى أن نشير إلى أن ديودور الصقلى وبطليموس

(١) Die Namen der Säugethiere bei den Südsemilischen Völkern , P. 343 seq

(٢) راجع تفسير الطبرى ج ١ ص ٢٣١ ، وما كتبه O. Loth فى Z. D. M. G. فى المجلد ٣٥ ص ٦٢٦ وما يليها

(٣) راجع تاريخ الطبرى ج ١ ص ٢٣١ والسور رقم ٧ ، ١١ ، ٢٦ ، ٤٦ من القرآن (٤) سورة هود : ٥٢ ، ٥٤

(١) هذه الفئة القليلة التى أشار اليها المؤلف هى بنو اللوذية الذين ذكرهم الطبرى فقال « ... إلا بنى اللوذية المهدى » (المترجم)

(٢) يشير المؤلف إلى قوله تعالى (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون من الجبال بيوتاً) (المترجم)

(٣) Doughly : Documents epigraphiques recueillis dans le nord de l'Arabie, P. 12 suiv

(٤) إشارة إلى قوله تعالى (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم ، هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب الله) (المترجم)

قد أشارا إلى وجود آل ثمود ، أما قوم عاد فلا نجد لهم أثراً يذكر فى العصور التاريخية ، على حين أن ثمود قد عاشوا حتى القرن الخامس الميلادى ، وكان أباطرة الدولة البيزنطية يستخدمونهم كفرسان ثموديين Equites Thamudeni فى جيوشهم

وبجانب عاد وثمود نرى العالقة مدرجين بين أهل الفترة ، وقد جاء فى علم الآثار العربية الاسلامية ما ينبىء عن وجود عدة أقوام سلفوا فى عصر بعيد ، كالكنعانيين والفلسطينيين . وإنا لنسمع أن مقر العالقة كان فى تهامة مكة ، وفى بعض أنحاء أخرى من شبه الجزيرة . ويجب أن نشير أخيراً إلى قبيلتى طسم وجديس اللتين لم يدوّن عنهما شيء إلا حقيقة هلكهما ، والدواعى التى أدت إلى ذلك . وإن القصص الخرافية التى أشارت إليهما لا تخلو من لذة بالنسبة لوجودهم فى المجتمع العربى القديم

* * *

أما تاريخ القحطانيين[1] — أو عرب الجنوب — قبل الاسلام فهو تاريخ شعبين : السبأى والحميرى اللذين خلفا زعماء الامبراطورية العربية الجنوبية التى امتدت من البحر الأحمر حتى الخليج الفارسى . وسبأ (أو شبا كما فى العهد القديم) تستعمل خطأ إذا قُصِد بها كل بلاد اليمن Arabria Felix ، على حين لم تكن سوى إقليم منها وإن كانت بلا جدال أقوى شكيمة وأعظم أهمية من كل الممالك والأقاليم التى ورد ذكرها فى كتابات الأغريق والرومان القدامى ؛ ومهما بولغ فى عظمتها وثرائها فمن المحقق أن سبأ هذه كانت ذات مركز تجارى ممتاز قبل ظهور المسيح بعدّة قرون[2] . « ولقد قامت السفن منذ زمن بعيد تمخر عباب المياه بين موانى بلاد العرب الشرقية وبين الهند محمّلة بالبضائع ، وكانت منتجات الأخيرة وخاصة الطيب والبخور والحيوانات النادرة (كالقردة والطواويس) تنقل إلى ساحل عمان ؛ ومنذ القرن العاشر قبل الميلاد كانت لهم دراية بالخليج الفارسى حيث كانوا يبيعون شطر مصر يبيعون لفراعنتها وأمرائها بضائعهم ، وقد كانت صعوبة الملاحة فى البحر الأحمر سبباً فى تفضيل الطريق البرى للتجارة بين اليمن وسورية ، وكانت القوافل تقوم من « شبوت » فى حضرموت وتذهب إلى مأرب عاصمة سبأ ، ثم تتجه شمالاً إلى مكُرَبة (مكة فيما بعد) وتظل فى طريقها من بترا حتى غزة المطلة على البحر الأبيض المتوسط[1] »

وظل رخاء السبئيين قائماً حتى أخذت التجارة الهندية تهجر البر وتسلك عبر البحار على طول شواطىء حضرموت وخلال مضيق باب المندب ، وكانت نتيجة هذا التغير — الذى يظهر أنه حدث فى القرن الأول للميلاد — أن أخذت قوتهم تتضعضع شيئاً فشيئاً ، كما أن جزءاً كبيراً من السكان اضطر للبحث عن مساكن جديدة فى الشمال ، ومن ثم أقفرت مدنهم ونضبت العيون المائية ، وسنرى حالاً ، كيف بلورت القصة العربية نتيجة انحطاطهم الهائل فى حقيقة واحدة تلك هى انفجار سد مأرب

وإن انحاء السبئيين قد أخلى الطريق لظهور جماعة من نفس الجنس يسمون بالحميريين أو كما يسميهم المؤلفون القدامى Homeritæ وتقع بلادهم بين سبأ والبحر ، وتحت حكم ملوكهم المعروفين بالتبابعة أصبحوا قوّة يرهب جانبها فى الجنوب من بلاد العرب . وظل عظم نفوذهم — ولو ظاهرياً — على القبائل الشمالية حتى القرن الخامس بعد الميلاد حينما ثار الأخيرون تحت زعامة كليب ابن ربيعة ، وأزالوا قوة اليمن المسيطرة عليهم فى واقعة تعرف بواقعة « خزازة »[2] ولم يفلح الحميريون كما أفلح السبئيون فان موقعهم البحرى جعلهم عرضة للغارات كما كان جدب البلاد من السكان مضعفاً لقوتهم الحربية . وقد قام الأحباش — وأصلهم من مستعمرى اليمن — بمحاولات عدة لتثبيت أقدامهم ، وكانوا يتخذون عادة حكاماً قد نفاهم أمراء وطنيون ، ومن أشهر الولاة الأحباش « ابرهة » الذى سنقص خبر مهاجمته الفاشلة لمكة فى موضعها الخاص ، وانتهى الأمر بأن وقعت امبراطورية حمير أخيراً تحت حكم فارس ولم تقم لها قومة سياسية مدة قرن من الزمان قبل ظهور الاسلام

ترجمة حسن عيسى

(١) فيما يتعلق بالنقوش السبئية والعربية الجنوبية يمكن للقارىء أن يقرأ ما سيكتبه J. Tkatsch فى مقالة « صنعاء » بدائرة معارف الاسلام فنيها معلومات قيمة ، ويشير الكاتب فيها إلى أهمية المكتشفات الخطية التى أماط اللثام عنها F. Glaser الذى جمع فى خلال أربع رحلات (١٨٨٢ — ١٨٨٤) ما ينيف على ٢٠٠٠ مخطوط . راجع أيضا :
P. Nielsen: Handbuch der Altaranbischen Alterlumskunde. Vol, I (Copenhagen and Paris 1927)

(١) إن أقدم وثيقة تاريخية يمكن الاشارة اليها وجدت مكتوبة بالخط المسمارى الأشورى وتقرأ فى تاريخ الملك سرجون ٧١٥ ق . م . « لقد استلمت جزية فرعون ملك مصر وشمسى ملكة بلاد العرب وأثمرة الساى من الذهب والطيب والعبيد والخيل والابل » وأثمرة مرادفة ليثمر وهو لفظ تسمى به كثير من ملوك سبأ

(١) A. Müller : Der Islam in morgen und Abendland, P. 24

(٢) ومع ذلك فان ذلدكه يقول (فى المعلقات الخمس Funf Mo'allaqat ج ١ ص ٤٤) إن الأخبار التى تنبئ أن كليبا كان يقود فرسان ربيعة إلى نزال قوى اليمن المتجمعة ليست تاريخية مطلقا

الفصل فى نبوة المتنبي

من شعره

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

— ٢ —

وتوجد قصيدتان تنسبان الى المتنبي فى هذا العهد ، إحداهما قالها وهو بأرض نخلة ، وهى ديار بنى كلب الذين يقال إنه تنبأ فيهم وهى هذه القصيدة :

كم قتيلٍ كما قُتِلْتُ شهيدِ ... بياضِ الطُّلى وورد الخدودِ
وعيونِ المها ولا كعيونٍ ... فتكتْ بالتَّمِيمِ المعمود
دَرَّ دَرَّ الصِّبا أيامَ تجرِ ... ي ذيولى بدار أثلة عودى
عمْرَكَ الله هل رأيتَ بدورا ... طلعتْ فى براقع وعقود
راميات بأسهم ريشُها الهُدْ ... بُ تشق القلوبَ قبل الجلود
يترشَّفْنَ من فمى رشفات ... هُنَّ فيه أحلى من التوحيد
كلُّ خَمصَانَةٍ أرَقُّ من الخمـ ... ـر بقلبٍ أقسى من الجلمود
ذات فرعٍ كأنما ضرب العنـ ... ـبر فيـــه بماء ورد وعود
حالكٍ كالسَّوادِ جَثْلٍ دَجُورٍ
وبِّ أثيثٍ جَعْدٍ بلا تجعيـــد
تحمل المسكَ عن غدائرها الرِّ ... يحُ وتفترُّ عن شتيتٍ برود
جمعتْ بين جسم أحمدَ والشَّقْـ ... ـم وبين الجفون والتسهيد
هذه مهجتى لديك لحَيْنى ... فانقصى من عذابها أو فزيدى
أهل ما بى من الضنا بطلٌ صيـ ... ـد بتصفيف طُرَّةٍ وبجيد
كلُّ شىء من الدماء حرام ... شربهُ ما خلا دم العنقود
فاسقنيها فدًى لعينيك نفسى ... من غزال وطارق وتليدى
شيبُ رأسى وذلتى وتحولى ... ودموعى على هواك شهودى
أىّ يوم سررتنى بوصالٍ ... لم تَرُعْنى ثلاثةٌ بصدود
ما مُقامى بأرض نخلة إلا ... كمُقام المسيح بين اليهود
مفرشى صهوة الحصان ولكـ ... ـن قبيصى مسرودة من حديد
لأمةٌ فاضةٌ أضاةٌ دِلاصٌ ... أحكمت نسجها يدا داود
أبن فضل إذا قنعتُ من الدهـ ... ـر بعيش مُعجَّل التنكيد
ضاق صدرى وطال فى طلب الرِّزْ ... ق قيامى وقلَّ عنه قعودى
أبدًا أقطع البــلاد ونجمى ... فى نحوس وهمتى فى سعُود
فلعلى مؤمِّلُ بعض ما أبـ ... ـلغ باللُّطف من عزيز حميد
لِسرىٍّ لباسُهُ خشنُ القطـ ... ـن ومرْوِىٌّ مرْوَ ليس القرود
عش عزيزًا أومت وأنت كريمٌ ... بين طعن القنا وخفق البنود
فرؤوسُ الرِّماح أذهبُ للغيـ ... ـظ وأشفى لغلِّ صدر الحقود
لا كما قد حييتَ غير حميـد ... وإذا متَّ متَّ غير فقيـد
فاطلب العزَّ فى لظىً وذر الذُّ ... لَّ ولو كان فى جنان الخلود
يقتلُ العاجز الجبان وقد يعـ ... ـجز عن قطع بخنق المولود
ويُوَقى الفتى المخسُّ وقد خوَّ ... ض فى ماء لبَّة الصنديد
لا بقومى شرفت بل شرفوا بى ... وبنفسى فخرتُ لا بجدودى
وبهم فخر كل من نطق الضا ... د وعوذُ الجانى وغوث الطريد
انا أكن معجباً فعُجبُ عجيب ... لم يجد فوق نفسه من مزيد
أنا ترب الندى ورب القوافى ... وسمامُ العدى وغيظ الحسود
أنا فى أمة تداركها الله غريبٌ كصالح فى ثمود

ويجب قبل أن ننظر فى هـذه القصيدة من جهة اتفاقها مع دعوى النبوة التى تنسب إلى المتنبي ، أن ننبه إلى أن النبوة لا تتفق مع صناعة الشعر ، لأن الشعر العربى إلى ذلك الوقت كان صناعة أوزان وكلام ، ووظيفة النبوة أسمى من أن تتقيد بقيود الشعر ، أو تعنى عنايته بزخرف اللفظ ، أو تعتمد اعتماده على الخيال ، وقد أشار إلى هذا قوله تعالى فى سورة يس : (وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين —) كما يشير إلى ذلك وإلى بعد النبوة مما كان يلابس الشعر من اللهو والعبث قوله صلى الله عليه وسلم : لما نشأت بغضت إلى الأوثان ، وبغض إلى الشعر ، ولم أهم بشىء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين ، كل ذلك يحول الله بينى وبين ما أريد من ذلك ، ثم ما هممت بسوء بعدهما حتى أكرمنى الله برسالته . قلت ليلة لغلام كان يرعى معى لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة فأسمر كما يسمر الشباب ، فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة أسمع عزفاً بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم ، فجلست لذلك فضرب الله على أذنى فنمت ، فما أيقظنى إلا مس الشمس ، ولم أقض شيئاً . عرانى مرة أخرى مثل ذلك

وهذا كله لم يكن المتنبي ليجهله ، وما كان له أن يقدم على دعوى النبوة معه . ولعل الذين نسبوا اليه هذه الدعوى قد شعروا بشيء من هذا حينما جعلوا له قرآنا يعارض به القرآن الكريم ، لأنهم رأوا أن الشعر وحده لا يصح أن يستقل بأمر النبوة ، أو لا يلتئم معها . ومن ذلك الذي نسبوه اليه وذكروا أنه زعم أنه قرآن أنزل عليه : والنجم السيار ، والفلك الدوار ، والليل والنهار ، إن الكافر لفي أخطار ، امض على سنتك ، واقف أثر من كان قبلك من المرسلين ، فان الله قامع بك زيغ من ألحد في الدين ، وضل عن السبيل

وكم يكون الشعر أبعد من وظيفة النبوة إذا كان صاحبه يتكسب به كصاحبنا المتنبي ، فانه نشأ شاعراً مداحا يتكسب بشعره ، ويسأل به ، ومن هذا قصيدته في مدح محمد بن عبيد الله العلوي ، ومطلعها :

أهلاً بدارٍ سباك أغيدُها أبعدُ ما بان عنكَ خردُها

وقد ذكر فيها أن ناقته حملته إلى هذا الممدوح :

إلى فتًى يُصدر الرماحَ وقد أنهلها في القلوب مُوردُها
له أيادٍ إليَّ سالفةٌ أعُدُّ منها ولا أعَدِّدُها

ثم طفق يمدحه إلى أن قال :

وكم وكم نعمةٍ مُجَدَّاةٍ ربيتها كان منك مولدُها
وكم وكم حاجةٍ سمحت بها أقرب مني إليَّ موعدُها
ومكرمات مشت على قدم الـ ـبر إلى منزلي تَرَدُّدُها
أقرَّ جدي بها عليَّ فلا أقدرُ حتى الممات أجحدُها
فعد بها لا عدمتُها أبداً خير صلات الكريم أعودُها

وقد عذله أبو سعيد الجيمري في ذلك العهد على تركه لقاء الملوك وامتداحهم ، فقال له :

أبا سعيدٍ جَنَّبَ العتابا فربَّ رأى أخطأ الصوابا
فانهم قد أكثروا الحجّابا واستوقفوا لردّنا البوابا
وإن حَدَّ الصارم القرضابا والذابلات السُّمر والعرابا
ترفعُ فيما بيننا الحجابا

ولا شك أن طبقة الشعراء المتكسبين أدنى طبقات الشعراء نفوساً ، وأبعدها عن الصلاح والتقوى ، وهي طائفة تتخذ الشعر وسيلة لجمع المال ، ولا يهمها في دنياه غيره ، ولا تطمح نفوسها الى وظيفة كوظيفة النبوة تكلفها من الكمال الروحي ما ليس في طبيعتها

وإن هذه الحادثة لتدل على مقدار ما بلغ اليه المتنبي في ذلك قال : أذكر وقد وردت في صباي من الكوفة الى بغداد ، فأخذت بجانب مندبلي خمسة دراهم ، وخرجت أمشي في أسواق بغداد ، فررت بصاحب دكان يبيع الفاكهة فاستحسنتها ونويت أن أشتريها بالدراهم التي معي ، فتقدمت اليه وقلت : بكم تبيع هذه الخمسة بطاطيخ ؟ فقال بغير اكتراث : إذهب فليس هذا من أكلك ، فتماسكت معه وقلت : يا هذا دع ما يغيظ واقصد الثمن ، فقال ثمنها عشرة دراهم ، فلشدة ما جبهني ما استطعت أن أخاطبه في المساومة ، فوقفت حائراً ، ودفعت له خمسة دراهم فلم يقبل ، وإذا بشيخ من التجار قد خرج من الخان ذاهباً إلى داره ، فوثب إليه صاحب البطيخ من الدكان ودعا له وقال : يا مولاي بطيخ باكور ، باجازتك أحمله إلى البيت فقال الشيخ : ويحك بكم هذا ؟ قال بخمسة دراهم ، قال بل بدرهمين ، فباعه الخمسة بدرهمين وحملها إلى داره ، وعاد إلى دكانه مسروراً بما فعل ، فقلت له : يا هذا ما رأيت أعجب من جهلك ! استتممتَ على في هذا البطيخ ، وفعلت فعلتك التي فعلت ، وكنت أعطيتك في ثمنه خمسة دراهم فبعته بدرهمين محمولاً ! فقال : أسكت . هذا يملك مائة ألف دينار ، قال المتنبي : فعلمت أن الناس لا يكرمون أحداً إكرامهم من يعتقدون أنه يملك مائة ألف دينار ، وأنا لا أزال على ما تراه حتى أسمع الناس يقولون إن أبا الطيب قد ملك مائة ألف دينار

(يتبع)

عبد المتعال الصعيدي

ظهرت الطبعة الجديدة لكتاب

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر ومن إدارة « الرسالة »

والثمن ١٢ قرشاً

من ديوان البغضاء

عقوق ...

للأستاذ محمود محمد شاكر

ملْ بنا ، يا فؤادُ ! نسى المودَّا ... ت ، وألقى إلى العداوة حبَّا
وتعالَيْ ! يا ربة الأرقش الخدّا ... ع ، وارعى مابين جنبيَّ خصبا
وجناحيك ، فانشرى وأظلِّى ... بُقعةً من مقابر الحب جربا
وامنعى نفثةَ الوفا واحجبيها ... رُبَّ ذكرى أحييتْ مواتاً أجبَّا
وانظرى نظرةَ العُقاب إذا أبـ ... ـصر صيداً ، فرامه فاشرأبَّا
وانفضى الناس نفضةَ الأسد الجـ ... ـروح أشلاء صيده والأربا
وتعالَيْ ! أنا الصديق ، ويا أعـ ... ـجب من يجعل العداوة صحبا !
ولئن كان ما رعيت من الأضـ ... ـلاع جدباً ، فلن أسومكِ جذبا
واعلمى أننى تركتُ وفاءَ الـ ... ـحُبِّ زُهداً ، ورمتُ فيك الحبا

* * *

هذه كفُّ خائضٍ غمراتِ الـ ... ـحب أبلى فيها بلاء صعبا
مستميتاً قد غالب الموت والحـ ... ـرب ونال الحياة كسباً وغصبا
نيلك أنثى ! ودونها الآبدُ الطـ ... ـاوى إذا ساور الفريسةَ وثبا
يا لعينيك ... شبتا فى دمى النا ... رَ شُواظا ، يصبُّ فى الدم عبّا
وبنانٍ أقسى من القِدِّ فى النفـ ... ـسِ ، وإن خلتُه بناناً رطبا

* * *

آهِ من غفلة ... إذا خطرت لى ... ملأتنى غيظاً وحِقداً وحربا
قد رمتنى فى جاحمٍ يتلظّى ... فاذا مات أرّثته فشبّا
أوَفاءً ... لغادرٍ يتسلى ... بعذابى اتباً ـ لذا الحب ـ تبّا
المحبّات تقتلُ القلب قتلاً ... والمداوات تُردف القلب قلبا
فتعالى ! يكن كمكرِكِ مكرى ... وأكن فى الحروب روعاً ورُعبا
لا تولِّ ، وتتركينى وحيداً ؛ ... لست أبغى بغير قُربك قربا
وانفثى فىَّ نفثةَ السِّحر حتى ... أقهر الناسَ والأسودَ الغُلْبا
فألدُّ الأعداء من علّمتْهُ ... مِحَنُ الحب أن يعُق الحُبّا...

محمود محمد شاكر

الشاعر وسريره

للشاعر الحضرمى على أحمد باكثير

— ٣ —

تهلّلُ يعلو محياكا ... وبسمةُ لائمة فاكا !
وفرحة خجلى عروسية ... تطلقها كالفجر عيناكا
وأى عطر منعش ، مؤنس ... هذا الذى يحمل رُدناكا
قل ياسريرى ، أى شىء جرى ... أنساك شكواى وشكواكا ؟
أتاركى أنت بلا رحمة ... قد عوّدتنيها سجاياكا ؟

* * *

أشامتٌ بى أنت فى محنتى ؟ ... معاذ إخلاصك لى فى هواىْ
بالله حدثنى عما جرى ... لعل فيه ما يسرّى أساى
ها هوذا يهمس — رؤيا محت ... بلواه ؛ ويلى ! أين ضلت رؤاى ؟
جاءته طيفاً فى الكرى ماسحاً ... شكواه ؛ ويلى ! أين ولى كراى ؟
رأى ، وعى ، لامس — يا ليته ... يداى ، أو أذناى أو مقلتاى !

* * *

رق سريرى لى ، ورقت له ... حسناه مما قلته فيه !
مرّت بيمناها على صدره ... فانتعشت بيض أمانيه !
لكن قلبى الحى ... قلبى الذى ... يستنزف الرحمة داميه !
قلبى الذى يصرخ فى سره ... من ألم مرّ يقاسيه
لم يُلف قلباً من بنى آدم ... يحنو عليه أو يسليه !

* * *

إهنأ سريرى بالذى ناله ... جدُّك إذ أخطأنى الجدُّ
لست بغيرانَ ولا حاسدٍ ... يمنعنى — أن أحمد — الودُّ
ولى نصيبى بعد فى كل ما ... خلّتك من أطيافها « هند »
لكن كفًّا أنت قبّلتها ... أشتاق أن ألثمها بعد !
لعل أن يُطعمنى بعدها : ... الثغر والعينان والخد !

* * *

ويلى عليها .. ! لكأنى بها ... مقبلة نحوك فى لطف

حاملة فى ثغرها بسمة حائرة تبدو وتستخفى
كمائش[1] فى جنة وحده ... نازعه شوق إلى إلفِ ! !
ياليت شعرى : أنت مقصودها أم ربك البائس — بالعطف ؟
فابنة حوّاء متى أظهرت فربُّها يعلم ما تخفى !

على أحمد باكثير

(١) قوله كمائش فى جنة الخ . هذه الجملة تابعة لقوله بسمة

على النيل

بقلم العوضى الوكيل

وقفت على النيل الوديع عشية أطالع فى أمواجه ما أُطالِعُ
وأسمع من أمواجه لحن فتنةٍ ومعنى يُغشّينى ، وذكرى تتابع
كأنى اليها من قديم مُوَجَّهٌ وكلّىَ إصغاء ، وكلى مسامع
كأنى قبل الآن أسمعت مرة صداها ، له دفق وفيه تدافُعُ
وماذاك إلا رمز ما أنا حالم به قبل أن تهتزّ منى الأضالع

وناجيت ماء النيل فى صمت راهب
بأسطورة الحب الذى لا يخادع
أيا نيل حدثنى فإنى عالم ولكن لسانى شامسٌ أو ممانع
علمت وكم معنى يدور بخاطرى
أضلته فى نفسى فيافٍ قواطع
لكم مرت الأجيال عجلى مُخِبة عليك وإذ تبدو كأنك هاجع
وأنت الطهور الفرد فى هذه الدنى وفى قُدسك الأسمى معان تطالع
عليك هدوء الهازئين ، وربما يلوح لنفس فى الهدوء تواضع
أتلحظنى هيمان فى العيش سادراً قد انهدمت منى إليه الدوافع
وصرت أعيش اليوم للأهل وحدهم
فما أنانى دنياى — ما عشت — طامع
أتلحظ دمعى وهو ينهلُّ مسبلا وأينُ شهيد فىّ هذى المدامع
أسير فلا أدرى لأية غاية أسير وتدعونى إلىّ المواجع
خلقنا لندرى العيش وهو يضلنا كمن بت تثنيه وبات يُقاطع

* * *

أيا نيلُ قُصَّ السرَّ إنك عالمٌ
به من شباب الكون والكون يافع
وحدِّثْ عن المجهولِ واكشف دفينَه
فإنك نور فى الأحاسيس ساطعُ
وبُلَّ بنفسى غُلّةً بعد غُلّةٍ ولا تنس أنى عابد لك خاشع
تمل فؤادى فى غلاف من الشجى
وفيه جراحات ، وفيه مصادع

* * *

أيا شاهد الأدهار مرّت بناسها كسبحة مرت عليها الأصابع
فأفنى منها الناس ؛ والزمن الذى حواهم تبقى لم تَضِرْهُ الفواجع
كسبحة يُستلُّ معدود حبِّها ويبقى بها الخيط الذى هو جامع

العوضى الوكيل

صدرت الطبعة السادسة من كتاب :

تاريخ الأدب العربى

فى جميع عصوره

بقلم الأستاذ أحمد حسن الزيات

وهذه الطبعة تقع فى زهاء خمسمائة صفحة من القطع المتوسط ، وتكاد — لما طرأ عليها من الزيادة والتنقيح — تكون مؤلفا جديداً

الثمن ٢٠ قرشا عدا أجرة البريد

القصص

من صور الحياة

قصة مجرم

للآنسة نعيمة المغربي

انعقدت محكمة الجنايات للنظر في قضايا مختلفة ومنها جناية قتل اتهم فيها فتى طيب الأحدوثة لم يسبق له الاجرام . وظهر من التحقيق أن الجناية لم تقع بقصد السرقة ، إذ أن خاتم القتيل الماسي وساعته الذهبية — وهو كهل غني — وأشياء أخر ذات قيمة لم يمسها القاتل ، مع أن المجال كان فسيحاً أمامه لسرقتها والاختفاء بها ، وإنما اكتفى القاتل بما فعل واللجوء إلى مسكنه الذي كان قريباً من محل الحادثة والذي كان يأوي إليه مع أمه المقعدة ، وقد قضت المسكينة نحبها حينما قبض الجند على ابنها من غلبة الخوف والرعب عليها

ذلك ملخص خبر الجناية التي شغلت أهل المدينة وخاصة سكان الحي الذي وقعت فيه الحادثة وكانت موضع سمرهم لأسفاً على القتيل الذي عرف بعتوه وصلفه وشحه ، بل شفقة على القاتل الذي عرفوا فيه الفتى الحسن الخلق ، يكد ويشتغل لينفق على أمه البائسة التي لم يك لها من عائل سواه . لذلك كله امتازت هذه الجلسة بوفرة عدد المستمعين فيها ، وكلهم مشفقون على القاتل راثون له

ظهر في قفص المتهمين شاب لا يتجاوز العشرين من عمره ، نحيل الجسم غائر العينين لا تظهر عليه علامة من تلك العلامات التي يمتاز بها المجرمون ، بل كان بادي الانكسار هادئ النظرات مستسلما لخواطر تجول في رأسه وأحاديث تهجس في نفسه . وبعد سماع شهادة الشهود ومرافعة النيابة ومحامي الدفاع سأله الرئيس الأسئلة المعتادة التي تلقى على المتهمين وطلب منه إذا كان عنده ما يدافع به عن نفسه . وهنا أرهف المستمعون آذانهم وتطاولوا بأعناقهم حتى لا تفوتهم كلمة من قصة ذلك المجرم البائس قال :

إنني إذا سردت قصتي فأنني لا أسردها بغية الدفاع عن نفسي أو حباً في الحياة فقد سئمت العيش واستولت على النفرة من الناس ، بل لتعلموا أنني فرد من أفراد المجتمع البشري قدر عليه أن يعيش عيشة ضنك وشقاء ويحيا حياة مليئة بضروب الألم والعذاب ، وكنت في ربيعي الثاني عشر حينما فُتحت عيناي على صورة من صور الحياة المؤلمة التي تركتني أرزح تحت كلكلها وأصبحت حياتي بعدها جافة قاسية خالية من المباهج التي تساعد المرء على اجتياز ما قد يتخلل طريقه من حمى وأشواك

مات أبي وأنا صغير ، ولم يترك لنا أنا وأمي من حطام الدنيا سوى أساس عتيق بال في مسكن صغير تداعت أركانه ، وتشققت سقوفه وجدرانه ، وكان ذلك المسكن لجار لنا غني كنا نؤدي إليه أجرته من دون مطل أو تسويف . وكان أبي بناء يتناول في يومه بضعة قروش يأتي بها إلينا وهو فرح مغتبط مع ما يحيط به من فاقة وبلاء . فيملأ البيت بهجة ورواء ، ويحوله إلى قصر من أوفر القصور سعادة وأعظمها هناء

وبالرغم من قدم العهد فانا أذكر ذلك اليوم الرهيب يوم أن عرفت أن ذلك الانسان الذي يستنزف قواه ليدفع عنا غائلة السغب والعرى قد أخرسه الموت ونام نومه الأبدي

ففي أمسية من أمسيات الشتاء الباردة ، وفي ليلة دجوجية الجناح غدافية الأديم ، كانت الريح صرصراً عاتية ، وكرات الجليد تتساقط على جوانب بيتنا المتداعي فيسمع لسقوطها صوت كأصوات الأرواح الهائمة . طرق الباب فدخل رجلان يماثلاننا في الفاقة والبؤس يحملان جثة أبي مهشمة أو كتلة من لحم ودم . ولقد نسيت كيف مرت علينا تلك الليلة المشؤومة ، غير أنني أذكر أن جثمانه ظل مسجى طول اليوم التالي حتى شعر بذلك من لم

تخل قلوبهم من عناصر الرحمة والشفقة فأمدونا بقليل من المال جهزنا به فقيدنا وأودعناه مرقده الأخير . ومما زاد لوعتنا أن الطبيب الذى قام بفحص الجثة قرر أنه كان مريضاً بعلة القلب فلم يستطع احتمال العمل المجهد تحت حر الشمس فى أعلى البناء فأصابه دوار عرضه للسقوط والموت السريع . وكأن ذلك الأب الشفيق كان يخفى علته هذه عن أى خشية قلقها أو محاولتها منعه من متابعة عمله المضنى ، وقد أصيبت تلك التاعسة على أثر هذه الصدمة التى بلينا بها بمرض عضال أقعدها عن مواصلة السعى لكسب القوت ودفع أجرة المسكن ، ومع هذا فقد كانت تتحمل الفقر والشقاء والمرض والاعياء بصبر واستسلام

لقد ألقت الأقدار بى من حيث لا أشعر فى بيداء هذه الحياة وضربتنى ضربة قاسية لا رفق فيها ولا هوادة ، وأرادتنى أحداث الزمان على أن أحمل حملاً أعجز عنه وأنا صبى صغير فتلاشت ابتسامتى واربدّ وجهى ، وعادت الحياة فى نظرى هماً ناصباً . أى مقعدة لا تستطيع حراكا وهى تحتاج إلى قوت ودواء ، وصاحب المسكن يطالبنا بأجرته فى نهاية كل شهر ، وعلينا أن نؤديها إليه صاغرين وإلا كان الشارع لنا مأوى ، وقد أشار علىّ بعضهم بإيداع المريضة فى إحدى المستشفيات ، فقبلت ذلك على مضض ، ولكن إدارة المستشفى أبت قبولها بحجة أن مرضها عضال لا يرجى منه شفاء . على أننى مع ذلك لم أيأس ولم أحزن رغبة فى أن أظل بجانبها أخدمها وأروح عنها ما تجده من آلام محرقة تحاول جهد طاقتها أن تخفيها عنى فتتكلف لى الابتسام ، ابتسام المريضة الصبور المستسلمة . لقد ذاق أطفال قبلى مرارة اليتم ، وذاق الكثيرون مثلى مرارة الحرمان والعُدم ، ولكن آلامهم لم تلك تشبه آلامى : إذ كانت آلامى آلام صبى فى أول مرحلة من مراحل حياته يرى تحت نظره أعز الناس لديه يدنو من الموت أو يدنو الموت منه يخطى سريعة فلا يستطيع التخفيف عنه أو إسعافه بجرعة دواء

أجل كنت أذرع البلدة وأجوس خلال شوارعها باحثاً بحث اليائس عن لقمة أتبلغ بها أو عن عمل يكفل العيش لى ولتلك المريضة المدنفة ، وكنت إذا حصلت على بضع دريهمات أضن بها على نفسى فأعود وأنا أظفر فرحاً فأشترى لها ما تحتاج إليه من غذاء ودواء وأوفر الباقى أجرة لمسكننا الحقير

وقد كنت أستطيع أن ألجأ إلى تلك الطريقة التى يلجأ إليها الكثيرون من أمثالى — أعنى السرقة — وكانت أحياناً تتجسم هذه الفكرة فى مخيلتى حينما أصاب بتلك الآفة المشئوم — آفة الجوع — ولكننى لا ألبث أن أرجع عن هذا العزم إذ أربأ بنفسى أن تنحط إلى هذه المنزلة مفضلاً كل شقاء على الوقوع فى هذا المنحدر الرهيب

وكنت أعرف أيضاً أن هناك سبيلاً أفضل من هذا كله أقصر مدى وأقل تعباً وجهداً . سبيلاً ينتهى بى إلى تخفيف متاعبى وآلامى وينقطع به همومى وأحزانى . فقد كان فى استطاعتى أن أقصر ساعات عذابى بالانتحار ، ولكن ذكرى المريضة المقعدة كانت تبعد عنى هذا الخاطر ، وتجعلنى أبتسم لليأس المميت فى ظل الحياة التعيسة التى أحياها

سدت فى وجهى أبواب الرزق ، وأمى تزداد مرضاً على مرض فلجأت إلى بيع أثاثنا البالى ، فبدأت بالفراش الذى أنام عليه والكرسى الذى أجلس فوقه وجميع الأمتعة الحقيرة التى يضمها مسكننا ، فنفد ذلك كله وهو مبلغ تافه لا تأثير له فى دفع الشقاء . ومما زاد فى بليتنا أن صاحب المسكن أخذ يطالبنا بتأدية ما تأخر له عندنا من الأجرة التى لا نملك منها شيئاً ، وأمهلنا بذلك ثلاثة أيام وإلا طردنا دون شفقة أو رحمة

طوفت فى هذه الأيام الثلاثة فى الشوارع ضاوياً متعباً مريض النفس والجسم والفكر ، صفر الكف ، فلم يفتح على بشىء حتى أعيانى التجوال ، وأرهقنى اليأس ، فرجعت إلى البيت أبكى بدموع غزار

انقضت المهلة المعينة لتنفيذ وعيد ذلك الظالم ، ولم يبق منها سوى ليلة واحدة لم يغمض لى فيها جفن ولم يرقأ لى دمع . وشعرت آنئذ بجميع ضروب اليأس ، وذقت من الألم أشكالا ، ثم اعترانى بحران عميق ، أصبحت فيه أشبه بالصنم . وعند ما انبلج الصبح ولاح لى وجه ذكاء بدا وجه أمى النحيل الشاحب ، وهى تتنفس تنفسا خافتا ، فانبثق فى لبى خاطر استجبت له : هو لقاء صاحب المسكن واستعطافه علنى أجد بذلك من الضيق مخرجا . فنهضت متثاقلاً ، وأنا ضائع الفكر مضطرب البال ، أقرب إلى اليأس من ذلك الغريق الذى يرتجف وسط الخضم وقد تعلق بأوهى الأسباب أملاً فى النجاة .

البريد الأدبي

كتاب عن تاريخ الحبشة وبلاد العرب

أصدرت الجمعية الجغرافية الملكية مجلداً جديداً من كتاب « البحر الأحمر والحبشة وبلاد العرب منذ العصر الغابر » Le Mer Rouge L'Abyssinie et L'Arabie depuis L'Antiquité بقلم المسيو « كامرر » ؛ وفي هذا المجلد الجديد مباحث شائقة عن « حرب الفلفل » وعن اكتشافات البرتغاليين البحرية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ؛ ومن المعروف أن هذه الاكتشافات كانت ذات أثر فعال في تطور مركز مصر التجاري ؛ لأنها لبثت عصوراً طريق الهند ، ولبثت ثغورها مهبط هذه التجارة ، فلما اكتشف البرتغاليون طريق الهند تحول قسم عظيم من تجارة الغرب إلى هذه الطريق الجديدة ، وهجرت الطريق القديمة التي كانت تمر بمصر أو الشام ، ودخل البحارة البرتغاليون الميدان وأنشأوا مراكز تجارية وحربية في موزنبيق وقاليقوط وجوا ومسقط وغيرها ، وغزوا جزائر الهند الشرقية ووصلوا إلى شواطىء الصين ؛ وانتبه سلاطين مصر لهذا الخطر المحدق بموارد بلادهم فتحالفوا مع البندقية على محاربة هذا الخطر لأنه يمس تجارتها أيضاً ؛ ولبثت مصر مدى حين قابضة على مفتاح البحر الأحمر ، ولكن البرتغاليين قبضوا على طريق الهند ، ورأوا من جهة أخرى أن يغزوا البحر الأحمر فتحالفوا مع الحبشة ، وكانت تخشى مصر ؛ وأرسلت بعثة برتغالية إلى بلاط النجاشي ؛ ولكن الحبشة لبثت حذرة من أولئك الأصدقاء الجدد ومن نياتهم

واستمرت المعركة مدى حين على سيادة البحر الأحمر والمحيط الهندي ، وفي الشرق للاستئثار بغنم القيادة التجارية ، ولعبت

وعند ما وصلت قصر صاحب الدار تجلدت وطرقت الباب ففتح لي خادم كنت أجد عنده بعض العطف ، فسهل لي لقاء سيده فدخلت عليه وأنا أرتجف كريشة في مهب الريح

تذللت بين يديه واستعطفته وشرحت له ما أقاسيه من بؤس وهم ، واستلهمته ربما تقضي تلك البائسة فهي على أبواب الأبدية ، وكنت أحدثه وهو صامت ساكن لا تطرف عينه ولا يرفع نظره إليّ ، حتى إذا فرغت من شكواي صرخ في وجهي صرخة جافة قاسية ملؤها العنف والقسوة وختمها بأبشع الشتائم وأقبح النعوت

يصبر عزيز النفس على الموت والخطر والعذاب والجوع ، ولكنه لا يصبر على الأهانة والطرد . يهون على أبي النفس كبيرها أن يرمى في أتون ملتهب يشوى جسمه شياً دون أن تلقى عليه نظرة ازدراء أو كلمة استهزاء . ومع هذا لم أحرك ساكناً بادي ذي بدء بل تصامت عن سماع كلماته المرة عسى أن تهدأ ثورة غضبه ويثوب الى رشده ويرفق بي . ولكنه أعاد الكرة وأمعن في طردي وتحقيري بلهجة تفوق الأولى عظما وهولا ، فكانت كلماته هذه كسهم أصاب مركز الصبر من فؤادي فمزقه ، فأحسست أن الدم يتصاعد الى رأسي ، وأن الأرض تدور بي ، ولاح لي طيف أمي وهو ملقى في العراء . فلم أشعر إلا وأنا أمسك بخناقه أضغط عليه بين يدي حتى سقط جثة هامدة

يقولون عني إنني مجرم خطر ، وإني أستحق الموت عبرة لأمثالي ، وما أنا إلا انسان حكمت عليه الظروف القاسية بأقسى أحكامها ، وأراد له أخوه الانسان أن يصبح مجرماً بعد ما تعب واجتهد اجتهاد الأبيّ ليعيش عيشة الكفاف فلم ير قلباً يعطف عليه وينتشله مما هو فيه

هذه قصتي المكتومة أعلنتها . وأحزاني الحبيسة أطلقتها ، فلتحكم عليّ محكمتكم الموقرة بما يمليه ضميرها ويرضاه عدلها

وأخيراً خلت المحكمة للمداولة ، فأجلت البتّ في هذه القضية إلى أسبوع آخر

نعيم المغربي

منتجات الشرق مثل الفلفل والبهار دوراً فى هذه المعركة ؛ وتخللتها معارك وأحداث بحرية عظيمة ما زالت مضرب الأمثال فى الروعة والشجاعة

ولكتاب مسيو كامرر مزية أخرى ، هى أنه يتتبع تاريخ الآراء والتطورات الجغرافية فى كتابه خلال هذه العصور ؛ وهذه التطورات مشروحة بالخرائط والوثائق الوافية ، وفيها خرائط قديمة كانت سرية لم تعرف فى عصرها ، لأن الخرائط التى كانت توضع عن الطرق البحرية فى ذلك العصر ، كانت كالخرائط الحربية يحرص أصحابها على سرها

وقد زين الكتاب فوق ذلك بعشرات من الصور التاريخية الهامة

الكاتب الألمانى رودلف شتراتس

نعت إلينا أنباء ألمانيا الأخيرة الكاتب القصصى الألمانى الكبير رودلف شتراتس R. strutz ؛ توفى فى الثالثة والسبعين من عمره فى ضيعته فى « كيم زى » على مقربة من ميونيخ ؛ ووفاته اختفى كاتب من أخصب وأعظم الكتاب الألمان فى عصر الامبراطورية ، وكان شتراتس مدى الحرب ومن بعدها أيضاً فى طليعة الكتاب الذين يدهشون الجمهور بوفرة إنتاجهم وبراعة ابتكارهم ؛ وقد نشأ شتراتس ضابطاً ، وقضى أعواماً عديدة فى خدمة الجيش ، وكتب أولى قصصه عن حياة الجندية ، وشرح فيها حالة الضباط وأحوال معيشتهم . وكان يدعو دائما إلى ابتعاد الجيش عن الأحزاب والسياسة ؛ وكان شتراتس يتمتع بمواهب القصصى البارع ، ووفرة فى الخيال ، وهو يصف لنا فى رواياته مدينة برلين وحياتها قبل الحرب وصفاً بديعاً مدهشاً ، وكان يختار دائما لأبطال قصصه النبلاء وكبار الأغنياء فيصف حياتهم وأحوالهم بدقة مدهشة ، ولم يتخذ قط من بين الطبقات الدنيا أبطالا لقصصه ، ولم يعن بمعالجة المسائل الاجتماعية ولا يتوخى الغايات الاجتماعية ، وإنما كان يكتب قصصاً شائقاً مشجياً مؤثراً فحسب ؛ ولكن ذلك لم يمنع من انتشار كتبه انتشاراً هائلاً حتى إن بعضها طبع مائة مرة . ومن أشهر كتاباته بعد الحرب قصص يصف فيها حالة برلين أيام التضخم النقدى ؛ وقد ساح شتراتس كثيراً ، وظهر أثر سياحاته فى كتبه ، ولكنه كان دائما فى أعماق نفسه « وطنياً » ألمانياً ، يتجه بالوصف إلى إذكاء الوطنية الألمانية ؛ وأشهر رواياته على الاطلاق هى رواية « هيدلبرج القديمة » Alt Heidelberg ؛ ومن رواياته الشهيرة الأخرى : « مكان فى الشمس » Platz ander Sonne « المعجزة الألمانية » Das Deulsch Wunder « سفينة بلادفة » Das Schiff ohne Steuer « لو كان العالم مليئاً بالعفاريت ween die Well von Teufel wäre وغيرها وقد بلغت كتبه زهاء ثلاثة مجلد

لجنة تفسير معانى القرآن الكريم

أصدرت مشيخة الأزهر قراراً بتأليف لجنة لتفسير القرآن الكريم توطئة لترجمته من حضرات أصحاب الفضيلة الأساتذة :

الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية رئيساً ، والأستاذ محمد أحمد جاد المولى بك مفتش أول اللغة العربية بوزارة المعارف ، والأستاذ على الجارم مفتش أول اللغة العربية بوزارة المعارف ، والشيخ مصطفى عبد الرازق والأستاذ أحمد أمين من الجامعة المصرية ، والشيخ ابراهيم حمروش شيخ كلية اللغة العربية ، والشيخ أمين الخولى من الجامعة المصرية ، والشيخ على سرور الزنكلونى من كلية أصول الدين ، والشيخ ابراهيم الجبالى من كلية أصول الدين ، والشيخ محمود الغمراوى من كلية اللغة العربية ، والشيخ محمود شلتوت من كلية الشريعة ، والشيخ محمد أحمد المدوى من كلية أصول الدين أعضاء

استكشاف جبال هملايا

استطاعت البعثة الألمانية التى أوفدت لتسلق جبال هملايا الهندية أن تصل الى أكمة سفو الواقعة فى شرق كانشن جونجا على ارتفاع أكثر من ٢٢ ألف قدم ، وهى أول مرة يستطيع الانسان أن يصعد اليها ، والبعثة المذكورة مكونة من الدكتور باور الباقارى وهو من الاخصائيين فى صعود الجبال ، والمستر ڤين والمستر هاب ، والمستر جتنر ؛ وقد وصلت البعثة الى قلب أراضى نبال منذ أشهر ؛ ووصلت منطقة زمو الثلجية فى سبتمبر ، ثم انقسمت الى فريقين ؛ فسار المستر ڤين مع بعض الحالين الى وادى تالونج ، ونفد منه الطعام بعد أيام ، وقضوا نحو يومين بلا طعام قبل أن يصلوا الى المساكن ؛ وكان تقدمهم بطيئاً حتى كانوا

يقطعون فى هذه الهضاب ميلاً واحداً فقط فى اليوم ، ثم تلاقى الفريقان بعد ذلك وسارت البعثة كلها الى سنجيك ، وصعدت الى قمة سيمفو

وقد اقتنعت الفرقة أن طريق سيمفو هو أفضل الطرق للصعود الى الآكام العالية التى لم يتوصل المكتشفون بعد الى ارتيادها ؛ ويزمعون العودة الى الهند فى العام القادم ، وقد سبق أن استطاع الدكتور باور مع بعض زملائه الصعود الى ما دون ثلاثة آلاف قدم من هذه الآكمة الشهيرة ، ولكنه رد بمأساة من الثلج ، فعاود الكرة فى هذا العام ونجح فى محاولته

وثيقة مصرية قديمة

اكتشفت أخيراً فى إحدى قرى الفيوم المسماة ارسيم أو مدينة التماسيح وثيقة غريبة تدل على أن العقود الخاصة بأعمال الصبيان موجودة من أقدم العصور ؛ وقد استطاع الأستاذ فولرن العلامة الدانمركى أن يقف على محتويات هذه الوثيقة فاذا فيها ما يأتى :

« يشهد تربفون بأن ولده القاصر تيونيس قد عين صبياً لمدة سنة من تاريخه عند تولوماتوس النساج »

وسوف يتعلم الصبى طول مدة العقد من أستاذه كل أصول حرفة النسج ، ويتقاضى فوق ذلك كل شهر خمسة دراهم مقابل الكسوة ، وفى آخر العام يتقاضى ١٢ درهما

وفى مقابل ذلك يدفع والد تيونيس إلى الحكومة ضريبة الأحداث عن ولده ، ويجب عليه أن يدفع عن كل يوم يتغيب فيه الغلام درهما بصفة غرامة ، وفى حالة فسخ العهد يجب عليه أن يدفع مائة لخزينة الدولة ؛ وإذا لم يقم المعلم تولوماتوس بتعليم الغلام كما يجب ، فانه يدفع مثل هذا القدر للخزينة

جواهر الطيب المفردة ليوحنا بن ماسويه

احتفل المجمع العلمى المصرى بافتتاح جلساته لعامى ١٩٣٦ و١٩٣٧ فألقى القس بولس سباط محاضرة عن كتاب « جواهر الطيب المفردة » ليوحنا بن ماسويه العالم النصرانى الكبير ، والطبيب الشهير الذى عاش فى القرن التاسع ، وكان رئيس دار الحكمة التى أنشأها الخليفة المأمون ببغداد سنة ٨٣٠

وفى هذا الكتاب النفيس وصف ابن ماسويه جواهر الطيب المفردة وذكر أسماءها ومعادنها وأنواعها وخواصها وفوائدها بالنظر إلى الطب والعطارة وقسمها قسمين : الأصول ، والأفاويه ، وقال : إن الأصول خمسة : المسك والعنبر والعود والكافور والزعفران ، وأن الأفاويه أربعة وعشرون : السنبل والقرنفل والصندل والجوزبوا والبسباس والورد والفلنجة والزونب والقرفة والهرنوة والقاقلة والكبابة والهال بوا وحب الياسم والفاغرة والمحلب والورس والقسط والأظفار والبنك والضرو واللاذن والميعة والقنبيل

ولهذا الكتاب مخطوطان : أحدهما محفوظ فى دار الكتب بمدينة ليبسيك بألمانيا ، والآخر عثر عليه القس بولس سباط فى مدينة حلب سنة ١٩٣٣ نسخة الأرخيد ياكون يوحنا بن عبد المسيح الانطاكى بمدينة حلب سنة ١٥٦٣

وقد اهتم القس بولس سباط بتنقيح هذا السفر الجليل والتعليق عليه ، وإضافة فهارس علمية له وسينشره المجمع العلمى المصرى فى مجلته لهذا العام

الحركة الفكرية العنصرية فى ألمانيا

تمضى ألمانيا الجديدة فى سياستها العنصرية إلى النهاية ؛ وآخر ما قررته فى هذا السبيل القضاء على الآثار والمؤلفات الفقهية اليهودية . ومن المعروف أن أعظم الآثار القانونية الألمانية كتبها اليهود الألمان ولا زالت إلى اليوم مرجع البحث فى ألمانيا ، ولكن الدكتور فرنك رئيس الجمعية القانونية الألمانية أصدر أمره إلى جميع المكاتب العامة ودور البحث أن تستبعد جميع المؤلفات اليهودية فى القوانين الألمانية ، كما أصدر أمره إلى جميع الناشرين بألا يعيدوا طبع شىء من هذه المؤلفات أسوة بالامتناع عن نشر المؤلفات الجديدة التى يضعها اليهود ، وبذلك لا يمضى طويل حتى تختفى هذه الآثار اليهودية من الأدب القانونى الألمانى

ويرى الدكتور فرنك أنه يجب على العنصر الألمانى أن يبدأ عصراً جديداً فى التأليف القانونى ، وأن الذهن الآرى يجب عليه أن يعرب عن عبقريته ونقائه فى هذه المؤلفات

الكتب

موسى بن ميمون

حياته ومصنفاته

تأليف الدكتور اسرائيل ولفنسون

بقلم الدكتور ابراهيم بيومي مدكور

هنالك كتب تقرأ لموضوعها وأخرى لأصحابها ؛ وكأن منظمي المكتبات العامة أدركوا هذا المعنى تماماً فأعدوا طائفتين متميزتين من الفهارس : إحداهما للمادة والأخرى للمؤلفين ؛ والكتاب الذي نحن بصدده يجذب القراء بموضوعه وبما يبذله مؤلفه من وسائل في سبيل نشره . فهو يدرس أولاً أعظم شخصية بين مفكري اليهود في القرون الوسطى ، ومن ذا الذي لا يرغب في أن يعرف شيئاً عن ابن ميمون بعد ذلك الحفل العظيم الذي أقيم في العام الماضي تخليداً لذكراه المئوية الثامنة ؟ وأعتقد أن هذا الحفل نجح نجاحاً كبيراً ؛ فقد وجه الباحثين إلى دراسته وتعريف الناس به ، وأضحت شخصيته بعده شعبية إلى حد ما ، ولو لم يكن من آثاره إلا كتاب اليوم لكفى . وعلنا نحتذي هذه السنة الصالحة ونخلد ذكرى فلاسفة الشرق وعلمائه الآخرين كي نبعثهم من مرقدهم وننشر تراثهم ونلفت الأنظار إليهم ونحلهم في المحل اللائق بهم . وفوق هذا فإن الدكتور ولفنسون نشاط يغبط عليه ؛ وليس نشاطه في التحدث عن كتبه بأقل من نشاطه في جمعها وتأليفها ، ولا تكاد تلقاه إلا ويحدثك عن أبحاثه الماضية ومؤلفاته الحاضرة ومشروعاته المستقبلة ؛ وإذا ما ظهر له في عالم التأليف كتاب خيل إليك أنك تلمح باستمرار على وجهه السؤال الآتي : هل قرأت كتابي ؟ ولسنا ندري ماذا كان يصنع لو قدر له أن يشتغل بالأعمال المالية والشؤون الاقتصادية ! يغلب على ظننا أنه ما كان يُبارى في هذا المضمار !

ولسنا في حاجة لأن نؤكد للدكتور ولفنسون أنا قرأنا كتابه الأخير ؛ فهو يعلم أنا عُنينا به وهو لا يزال في مهده ، وقلنا بعض الشيء على تنشئته وتكوينه ، وقد ناقشناه غير مرة في طريقته وأسلوبه وموضوعه ومصادره ؛ وها نحن أولاء مسرورون بظهوره في ثوبه الحاضر سروراً مزدوجاً ، فيسرنا منه ما فيه من أبحاث قيمة أضافت إلى اللغة العربية ثروة طائلة ، ونغتبط بأن نرى فيه زهرة يانعة شهدنا من قبل ساعة تفتحها وتابعنا أدوار نموها وكمالها . وإذا كنا قد أسرعنا بالأمس إلى الدكتور ولفنسون بما لاحظناه على مخطوطته ، فنحن اليوم في حل من أن نعلن إلى قرائه ما خلفه كتابه في نفسنا من أثر ؛ والأبحاث العقلية وقف على أصحابها ما لم ينشروها ؛ فإن نشرت أصبحت ملكاً للإنسانية جمعاء

يشتمل كتاب موسى بن ميمون على تصدير ، وأربعة أبواب وفهرس بأسماء المصادر العربية والعبرية والافرنجية . ففي التصدير يبين المؤلف الأسباب التي دفعته إلى وضع كتابه ، والطريق الذي سلكه ، والصعوبات التي صادفته ، ويلخص النتائج التي انتهى إليها ؛ وفي الباب الأول يدرس حياة ابن ميمون ويأتي على الظروف المختلفة التي أثرت في نشأته وتكوين آرائه ، ويعرض في إسهاب لمشكلة إسلامه مدلياً فيها بأقوال المؤرخين السابقين ومناقشاً لها مناقشة طويلة . وهـــذا الباب حافل بالمعلومات يدل على اطلاع واسع وبحث مستفيض ، إلا أنه لم يرتب ترتيباً كافياً . وقد عنى فيه بجمع الحقائق وسردها أكثر مما عنى بطريقة عرضها وربط بعضها ببعض . وكنا نود أن يرجع المؤلف العوامل التي أثرت في حياة ابن ميمون إلى نقط رئيسية يأتي عليها الواحدة بعد الأخرى . نحن لا ننكر أن ملخصه الجامع الذي صدَّر به كل باب من أبوابه حدد بحثه بعض الشيء ؛ ولكن كنا نفضل أن يقسم هـذه الأبواب إلى فقرات يُعَنْوَن لكل واحدة منها بعنوان خاص ، كما صنع في مشكلة إسلام ابن ميمون مثلاً [1]

(١) موسى بن ميمون ، ص ٢٧

وهذه الفقرات فى جملتها لا تخرج عن الملخصات الآنفة الذكر . وقد وقف المؤلف على إسلام أسرة ابن ميمون ١٤ صفحة كاملة ؛ وهـذا الموضوع هام حقاً وجدير بهذه العناية . غير أنا لا نكاد نجد فيـه جديداً ؛ ذلك لأن المؤلف شُغِل بجمع ونقل آراء الباحثين السابقين دون أن يرجح واحداً منها على آخر ترجيحاً واضحاً . والواقع أن هذه المسألة درست من قبل دراسة موسعة ، فلم يرَ صاحب كتاب موسى بن ميمون بداً من أن ينقـل آراء من سبقوه ويعول عليها التعويل كله حتى فى مناقشة النصوص التى عرض لهـا . ولا يفوتنا أن نشير إلى أنه قد يسهب أحياناً فى سرد هـذه النصوص وينقل منها ما يجاوز بحثـه ويناقشها مناقشة سطحية . ونعتقد أنه كان فى مقدوره ، وهو ذو خبرة لغوية واسعة أن يشرح النصوص العربية شرحا أضبط ، ويستكمل ما فات المستشرقين السابقين

وفى الباب الثانى الذى هو أصغر أبواب الكتاب درست مؤلفات ابن ميمون الدينية . وهذا الباب واضح فى جملته ومحتو على ملاحظات ونقد لا بأس به ، وما اتصل فيـه بتثنية التوراة والتلمود جيد للغاية . ولا غرو فالمؤلف حين يدرس الفقه والتشريع الاسرائيلى إنما يتكلم عن خبرة تامة ومعرفة حق ؛ فهنا يبدو بجلاء اختصاصه وتمكنه من مادته . هـذا إلى أنه أحسن اختيار ما قدمه ؛ فلم يشغل القارىء العربى بتفاصيل جزئية عن الديانة اليهودية قد لا تعنيه كثيراً معرفتها .

والآن ننتقل إلى الباب الثالث الذى هو عمدة الكتاب وأكبر أبوابه ، وقد عنون له المؤلف كالآتى : « فلسفة موسى بن ميمون ومصنفه دلالة الحائرين »[1] . ويخيل إلينا أنه كان الأولى أن يكون عنوانه كما يلى : « دلالة الحائرين وما يحوى من آراء فلسفية ودينية » . فان المؤلف لم يشرح فى هذا الباب فلسفة ابن ميمون شرحاً نظرياً وتاريخياً منظماً ؛ وإنما جعل كل همه أن يلخص كتاب دلالة الحائرين وينقل أهم ما جاء فيـه من آراء وأفكار ، ويعطى فكرة عامة عن تاريخ تأليفه والأدوار التى مر بها منـذ ابن ميمون إلى اليوم ، ويبين أثره فى العالم الغربى والشرقى . ولئن فاته أن يدرس فلسفة ابن ميمون الدرس اللائق بها لقد وفق توفيقاً كبيراً فى تلخيص كتابه دلالة الحائرين ، ونستطيع أن نقرر أن هذا الملخص الذى يقع فى نحو خمسين صفحة قد يغنى عن قراءة أجزاء دلالة الحائرين الثلاثة . ولم يلخص المؤلف هـذا الكتاب بالمعنى ، بل ترك ابن ميمون يعبر فى أغلب الأحايين عن آرائه بنفسه . وفى هذا ما يسمح للقارىء أن يتصل اتصالا مباشراً بالفيلسوف المترجم له . ويجدر بنا أن نلاحظ أنا فى حاجة ماسة إلى طبع دلالة الحائرين بحروف عربية . فى انتظار هـذه الطبعة المنشودة قدم لنا الدكتور ولفنسون فصولا ممتعـة من كتاب عربى هام كتب بالعربية دون أن يعرفه كثير من أبنائها . وكل ما يؤخذ على هذا الملخص نقص فى الترتيب وربط المسائل بعضها ببعض أحيانا ، أو قصور فى عرض بعض النقط أحيانا أخرى . ففى صفحة ٥٨ يحكم المؤلف مثلا على الترجمات العربية حكما غير مبنى على أساس صحيح ، ويشير إشارة ناقصة إلى أثر الفلسفة الاسلامية فى الفلسفة اليهودية . وكنا نتوقع أن يعير هذه المسألة ما تستحق من أهمية ، ولاسيما وهو يدرس شخصية يبدو فيها الأثر الاسلامى بشكل واضح . والتاريخ والواقع يشهدان بأن الفلسفة اليهودية فى جملتها ليست إلا امتداداً للفلسفة الاسلامية . وفى صفحة ١٢١ يتكلم عن أسلوب ابن ميمون ؛ وفى رأينا أنه كان ينبغى أن يقدم هذه النقطة ويبدأ بها قبل الدخول فى تفاصيل كتاب دلالة الحائرين ؛ على أن المؤلف فاته أن يشير إلى جلاء ابن ميمون ، ووضوح لغته ، وعنايته بتوصيل المعنى إلى القارىء ، وطريقته المنطقية البرهانية فى المناقشة والتعليل

وفى الباب الرابع والأخير يدرس المؤلف كتب ابن ميمون الطبية . وهذه تكملة لا بد منها ؛ فان ابن ميمون فوق تشريعه وفلسفته كان طبيباً يشار اليه بالبنان فى علمه وعمله ، وقد خلف كتباً طبية عديدة استفاد منها الشرق والغرب أثناء القرون الوسطى . وقد نجح المؤلف فى التعريف عنها ، وعرض نماذج من موضوعاتها ؛ وإن كان قد فاته أن يبين فى وضوح الصلة بينها وبين المؤلفات الطبية العربية الأخرى المعاصرة لها أو السابقة عليها . وعل هذه الدراسة ألصق بكتاب طبى منها ببحث تاريخى

وفى الفهرس نرى مجموعة طيبة من المراجع القديمة والحديثة العربية والعبرية والافرنجية التى تتصل بحياة ابن ميمون وآرائه ومؤلفاته . ويا ليت المؤلف أضاف اليها بعض الملاحظات النقدية

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٧

العالم المسرحي والسينمائي

أدب السيناريو

صورة جديدة من الأدب أوجدها الفيلم الناطق

لناقد « الرسالة » الفني

ظل الأدباء حتى السنين الأخيرة لا يعرفون الفنون والآداب إلا فى صورها القديمة من الشعر والنثر الفنى والقصص التمثيلى وغير التمثيلى . وظهرت صورة جديدة من الأدب فى القصة القصيرة ، وهى على رغم انتشارها وذيوعها ليست جديدة وإنما هى صورة مصغرة من القصة الطويلة ، أو هى قصة ملخصة تلخيصاً حكيما

واخترعت السينما الناطقة فرأينا القصص تعرض على اللوحات ولم يؤثر هذا الاختراع أى تأثير فى العالم الأدبى حتى ظهرت السينما الناطقة فسمعنا الممثلين ينطقون بحوار فنى وضعه المؤلفون من أكبر رجال الأدب والفن فى العالم

بعض هذه القصص بما تحوى من حوار مقتبس عن قصص معروفة ، ولكنه يظهر فى صورة خاصة وترتيب فنى جديد لم يألفه الناس وعرف بالسيناريو

والسيناريو كلمة أطلقها رجال السينما على القصة السينمائية فى وضعها الخاص الذى يعاون المصور والمدير الفنى ومساعديه على القيام بمهمتهم فى سبيل إخراج فيلم من الأفلام

ظلت هذه الصورة الجديدة لا يعرفها الناس وكأنها سر من الأسرار ، وكان المثلفون على المجلات السينمائية وكتب السينما يعرفون القليل عنها من أمثال بسيطة يضربها المؤلفون والكتاب فى بعض ما يكتبون ، حتى جازفت إحدى دور النشر فى أوربا وقامت بطبع أكثر من سيناريو فكان هذا العمل الجرىء هو الباعث على ظهور هذه الصورة الجديدة من الأدب

أقبل الناس على قراءة هذه الكتب للتسلية والدرس ،

التى تبين قيمتها العلمية وما احتوت من أبحاث مفيدة . وعلى كل فهذا الفهرس ثمرة من ثمرات اطلاعه الواسع ، وأداة صالحة من أدوات البحث والدراسة . وسيجد فيه القراء والمطلعون نبراساً يستضيئون به فى ظلمات القرون الوسطى ، وهاديا يرشدهم إن أرادوا التوسع فى بعض النقط التاريخية والفلسفية

هذا هو كتاب موسى بن ميمون فى محتوياته . وأما أسلوبه فمقبول فى جملته ، وإن أعوزه شىء من العناية والدقة . وأما مصادره — على الرغم من تعددها وحسن اختيارها — فلم تستخدم استخداماً كافيا . ونعتقد أنه لو كان المؤلف قد تريث أكثر فى دراستها ، ودقق أطول فى قراءتها ، لأخرج لنا عن ابن ميمون بحثاً أشمل وأوسع

ومهما يكن من اعتراض يمكن أن يوجه إلى كتابه فاننا لا نتردد مطلقا فى أن نقرر أنه ضم إلى سلسلة أعماله المتواصلة حلقة ذهبية ناصعة . وهو من غير شك ، كما قرر فضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق فى المقدمة التى قدم له بها « ثمرة جهد كبير فى الاطلاع على مراجع مختلفة فى لغات شتى [1] » وإذا لاحظنا أنه يدرس شخصية جليلة من كبار المفكرين الذين تربوا فوق أرض الاسلام وتحت سمائه أكبر ما له من قيمة ؛ وسيستعين به أصدقاء الفلسفة الاسلامية وطلابها على تفهم كثير من الآراء والأفكار العربية . وأملنا كبير فى أن ينحفنا الدكتور رلفنسون وهو مؤرخ استكمل وسائل البحث التاريخى ، بمؤلفات أخرى تكشف الغطاء عن فلسفة القرون الوسطى اليهودية

ابراهيم مدكور

(١) المصدر نفسه

وهناك من المؤلفين والكتاب من كانت لديهم الموضوعات التى تصلح وتليق بأكبر الأفلام ، ولكن جهلهم بشؤون السينما وعدم تمكنهم من التفصيلات كثيرا ما صرفهم عن السير فى هذا السبيل ، فظهور هذه المطبوعات أفادهم فائدة كبيرة ، فهى فى الحقيقة شرح تفصيلى عملى يمكنهم من فهم السيناريو وطريقة وضعه

وليست فائدة هذه المطبوعات قاصرة على هذا وحده ، فقارئ السيناريو يجد لذة كبيرة فى تلاوة قصة سبق له أن شاهدها على ستار السينما

قرأت أكثر من كتاب واحد مما أخرج ، وأقرر أننى وجدت تسلية كبيرة فيما قرأت ، وخرجت بفائدة لم أكن أحلم بها ، فقد جعلتنى أفهم السينما على حقيقتها وأعرف دقائقها تمام المعرفة إذ وجدت تطبيقا عمليا على كل ما قرأت من الكتب الخاصة بالسينما وأحوالها

فهذه الصورة الجديدة من الأدب تدين بخلقها الى الفلم الناطق ، وأنا زعيم بأن الأدباء سوف يجدون فى هذه الصورة ما يرضى ميولهم ويدفعهم الى تأليف السيناريو . ولقد كتب المؤلفون قصصاً تمثيلية وقاموا بطبعها قبل أن يعرضوها على الفرق التمثيلية ووجدت من الرواج والاقبال ما يعوض على الكاتب مجهوده ؛ وأعتقد أننا سوف نرى فى القريب من المؤلفين من يقوم بطبع « سيناريو » قبل أن تقوم شركة من الشركات باخراجه ، وسوف يقبل الناس على تلاوته بدافع اللذة والتسلية

وهكذا يضيف الفلم الناطق صورة جديدة الى الآداب والفنون

يوسف

فى الفرقة القومية

تأكدت لدينا استقالة الأستاذ زكى طليمات من الفرقة القومية المصرية فهو قد قدم فعلاً استقالة إلى الأستاذ خليل بك مطران مدير الفرقة ، وسوف تعرض على لجنة ترقية المسرح المصرى فى أول اجتماع لها ، وقد كان من المنتظر أن تعقد اللجنة اجتماعاً فى تمام الخامسة بعد ظهر يوم الأربعاء الماضى ولكنه أجل لتغيب معالى رئيس اللجنة حافظ عفيفى باشا فى الأسكندرية

وقد رفع الأستاذ طليمات أيضاً إلى معالى وزير المعارف التماساً يرجو فيه إلغاء انتدابه فى الفرقة القومية المصرية

ولسنا ندرى حقيقة الأسباب التى دفعت الأستاذ طليمات إلى تطليق المسرح والفرقة القومية التى طالما تمنى قيامها وعمل كثيراً فى سبيل إنشائها ، فالاشاعات كثيرة : منها أن هنالك من يضع فى طريقه العقبات وأن بين رجال الفرقة من يعمل على الحد من السلطة التى كانت له فى الموسم الماضى ويذكرون مسائل معينة للتدليل على صحة ما يقولون

والسبب المباشر فى استقالته أنه تقرر سحب رواية الجريمة والعقاب التى نقلها إلى العربية الدكتور الشاعر ابراهيم ناجى والممثل فتوح نشاطى بعد أن استعد لها وأتم دراستها واختار لنفسه أحد أدوارها ، وقد عهد باخراج هذه الرواية إلى الأستاذ عزيز عيد ، وكان الدور الذى اختاره الأستاذ طليمات لنفسه من نصيب الأستاذ حسين رياض

وقد يرى القارىء الملم بالوسط المسرحى المصرى أن هذا التصرف عادى فى الفرق ولهذا فان دهشتهم لتقديم الاستقالة كانت كبيرة ، ولكن المتصلين بالأستاذ طليمات يقولون إن هذا الحادث هو القشة التى قصمت ظهر البعير

ونحن يسوؤنا جدا أن تنتهى المسألة بهذه النتيجة المؤلمة ، ونحن نأسف جد الأسف على خروجه من الوسط المسرحى ونعد اعتزاله خسارة كبيرة فهو المخرج الوحيد فى مصر الذى درس فن الاخراج والتمثيل فى أوربا دراسة تهيئه لأن يتولى هذه المهمة فى مصر ، وهو إلى جانب هذا أديب مطلع لا نجد بين الممثلين أكثر من اثنين فى مثل اطلاعه وإخلاصه للفن

والمسرح المصرى فى هذه الفترة فى حاجة إلى توحيد الجهود لا قالته من عثرته . وخروج الأستاذ طليمات يضعف من الجهود التى تبذلها اللجنة ورجالها المخترمون . ونحن نرجو مخلصين أن يعدل الأستاذ طليمات عن هذه الاستقالة ، وأن تمهد له اللجنة الطريق إلى سحبها بأن تزيل ما فى النفوس من الصغائر التى تفسد الجو المسرحى ، كما نرجو ألا يوافق معالى وزير المعارف وسعادة وكيل الوزارة الأستاذ العشماوى بك على إلغاء انتدابه

يوسف